(٤٣) من تراث الكوثري

كشف أسرار الباطنية

وأخبار القرامطة

تأليف

العالم العلامة الفقيه الزاهد

محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني

من فقهاء السنة في اليمن في أواسط المائة الخامسة للهجرة

صدرنا الكتاب بتقدمة نفيسة وتعليق علمي مفيد

لحضرة العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة الشيخ

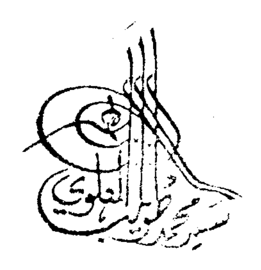
محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

☎ ٥١٢٠٨٤٧



من تراث الكوثري
-٤٣-

كشف أسرار الباطنية

وأخبار القرامطة

تأليف
العالم العلامة الفقيه الزاهد
محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني
من فقهاء السنة في اليمن في أواسط المائة الخامسة للهجرة

صدّرنا الكتاب بتقدمة نفيسة وتعليق علمي مفيد
لحضرة العلامة المحقق الكبير صاحب الفضيلة الشيخ
محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الحمـــادي ، محمـد بـن مـــالك بـن أبـي الفضــائل ،
1077 - 00
كشـف أسـرار الباطنيــة وأخبــار القرامطــة / تــأليف
محمد بن مالك بن أبي الفضـائل الحمـادي اليمـاني ؛
تقديم وتعليق / محمد زاهــد بن الحسن الكــوثري
. ــ ط 01 ــ . القـاهرة : المكتبـة الأزهريـة للتـراث ،
2006
68 ص ؛ 24 سـم . ـ (من تراث الكوثرى ؛ 43)
تدمـك : 2 ـ 118 ـ 315 ـ 977
1- علــم الكلام
2- الباطنية (فرق إسلامية)
أ- الكوثرى ، محمد زاهد بن الحسن (مقدم ومعلق)
ب- العنـــوان

رقم الإيداع : 9564 / 2006 م





كلمة الناشر:

أحمدك اللهم مولى النعم، وموفق الهمم، يا من أحاط بكل شيء ولا يحيط به شيء، وأشكرك شكر من توجه إليك خاشعاً خاضعاً متذللاً فأصبح من الفائزين، وأصلى وأسلم على نبينا محمد ﷺ منبع الحكم وأبلغ مبعوث للأمم، وعلى الذين اصطفاهم الله من بين خلقه ليكونوا هداة لهم ومرشدين فى كل وقت وحين إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الباطنية والقرامطة من أشد الفرق خطراً على الإسلام على رأى من عَدّهم من الفرق الإسلامية، والحقيقة أن أصل دعوتهم مؤسس من مجوس الفرس الذين اندسوا بين المسلمين باسم الإسلام فأسسوا الجمعيات السرية للعمل على هدم كيان الإسلام، ونشروا دعاياتهم بين الدهماء من المسلمين بطرق خطيرة، فغرروا بعقول الضعفاء باسم أهل البيت الطاهرين والانتقام لهم مما أصابهم على أيدى الفساق من حكام عصرهم، فأثرت دعاياتهم الخطيرة أثرها الفعال بين المسلمين فكثر أشياعهم وازداد جنودهم.

واختلف المؤرخون الذين كتبوا بعض الشذور عنهم وعن معتقداتهم اختلافاً كبيراً؛ وذلك لسرية عقائدهم، حتى جاوز الاختلاف من عقائدهم إلى أسمائهم، لذلك يجد الباحث صعوبة جمة فى تحقيق أسماء

الزعماء منهم وكشف معتقداتهم، فلا يجد ما يشفى به الغليل من معرفـــة الحقيقة إلا الضئيل.

وإن أهم كتاب كشف الغطاء عن هذا الموضوع إلى يومنا هو هذا المؤلف النفيس الذى نقدمه للقراء خدمة للعلم ولنفع المسلمين؛ لأن كاتبــه من فضلاء فقهاء السنة فى اليمن فى منتصف القرن الخــامس للهجــرة ومن الذين اندسوا بينهم للكشف عن حقيقتهم وبيانها للمسلمين، فتحقق من معتقداتهم وكشف الغطاء عن حقيقتهم.

وقد عثرت على أصل هذا الكتاب بطريق الصدفة ضـــمن أوراق خطية مبعثرة غير مرتبة قديمة العهد يرجع تاريخها إلى عام ٧٠٠هـــ رديئة الخط، فى جملها نقص، وكنت عزمت على إهمال طبعه لــو لــم يلهمنى الله ويوفقنى إلى العثور على نسخة فوتوغرافية فى هذا المعنـــى فى دار الكتب المصرية العامرة كتب على ظهرها هذه الجمل:

نظراً لأهمية هذا الكتاب وندورته فقد اختارته دار الكتب المصرية فى عهد حضرة صاحب السعادة حبيب بك حسن مدير "جرجــا" لأخــذ صورة منه لتحفظ بها من كتب أفقر العباد إلى رحمة الله المهدى لدين الله وقفه عام ١١٦٦هـــ.

ثم من كتب من طاب عنصره وسما فخره سيف الخلافــة صـــفى الإسلام والدين أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين بـــن المهدى لدين الله رب العالمين - هداه ربه إلى طريقة آبائه الكرام وجنبه عن السلوك فى مسالك السفهاء اللئام آمين - فى رجب سنة ١٢٢١هـــ.

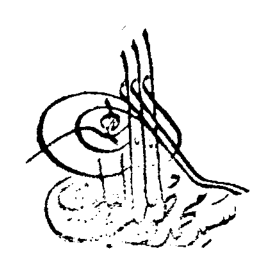
ثم انتقل إلى ملك الفقير إلى الله عبد العزيز بن أحمد بن إبـــراهيم سنة ١٣٢٢هـــ.

ولذا سعيت سعى المجد فراجعتها على نسختى، وقابلتهـــا ســـطراً بسطر فوجدت أن الكتاب واحد، فأتممت النقص الموجود بنسختى واتكلت على الله فى طبعه ونشره بين العالم الإسلامى خالصـــاً لوجهـــه الكـــريم والتمست من أستاذنا ومولانا العلامة المحقق الكبير صـــاحب الفضـــيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى نزيل القاهرة أن يطلع عليـــه، وأن يتكرم بكتابة تقدمة له والتعليق عليه ليزداد النفع به، فأجابنى - حفظه الله وأمد فى عمره - بالقبول.

وكذلك أتقدم بجزيل الشكر إلى الأديب الفاضل الأستاذ محيى الدين العنسى اليمانى الذى تكرم بتحقيق أسماء الـــبلاد اليمنيـــة التـــى ذكرهـــا المصنف، وإننى أرجو الله تعالى أن يعم النفع بهذا الكتاب، إنـــه ســـميع مجيب.

الناشر

السيد عزت العطار الحسينى[١]



[١] واليوم- بفضل الله تعالى - يعاد طبع الكتاب بالمكتبة الأزهرية للتراث.

تقدمة الكتاب

وكلمة عن طوائف الباطنية

لما أشرقت الأرض بنور الإسلام استنارت العقول، فدخل الناس فى دين الله أفواجاً، ونبذوا الأديان الباطلة ظِهرياً حتى تم للمسلمين ما يعرفه الجميع من المفاخر الخالدة، لكن زعماء المتدهورين أمام هذا التيار من الوثنيين، والصابئين، واليهود، والنصارى، والمجوس، كانوا يحملون بين جوانحهم أحقاداً متأججة تحملهم على تثبيت كل شر ضد هذا النور الوهاج، ولما استيقنت أنفسهم أنهم لا يستطيعون الوقوف بالقوة أمام هذا السيل الجارف لكل مبطل وهارف سلكوا طريق الاحتيال فى الوصول إلى أمانيهم، فاندسوا بين المسلمين متظاهرين بالورع الكاذب، مستثيرين أنواع الفتن بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أن حدثت تلك الفتن الدامية ضد أهل بيت النبوة – رضى الله عنهم – فبدأوا يتظاهرون بمظهر العطف على آل الرسول – صلوات الله وسلامه عليه وآله – وبمظهر الانحياز إليهم، والدعوة لهم علماً منهم بأن أنجح وسيلة لإثارة فتن هوجاء تقعد بالمسلمين عن الاستمرار على ما هم عليه من نشر الفضيلة وقمع كل رذيلة، ورقى باهر فى جميع الشئون، هو نبش الأحقاد واستثارة الأمة بدعوى الدعوة إلى أهل البيت – عليهم السلام – استغلالاً لتوتر أعصاب الأمة أسىً على دماء أهل بيت الرسول المسفوكة ظلماً وعدواناً من قبل جبابرة الدولتين الأموية والعباسية بالنظر إلى أن أرباب الحُكْم فيهما كانوا يتخوفون على مراكزهم – كلما جدت دعوة إلى أهل بيت النبوة – فيُنْزِلون بآل الرسول صلوات الله عليه وآله صنوف الضيم

لا يرقبون فيهم إلّاً ولا ذمة. وإن أهل البيت أيضاً كانوا لايستطيعون فى دورهم أن يقفوا مكتوفى الأيدى مستسلمين لظلم جبابرة السياسة فيلابسون الفتن سراً أو جهراً، والأمة فريقان: فريق إلى هؤلاء، وفريق إلى هؤلاء طوعاً أو كرهاً، وهكذا كان يستفحل الخطب، ويستشرى الشر، وهذه غاية ليس وراءها غاية عند هؤلاء الهدامين.

فدونك كتاب "**مقاتل الطالبيين**[١]" وهو ينبئك عن تلك الدماء الطاهرة المسفوكة فى تلك الفتن ظلماً وعدواناً. ولم تزل قلوب الأمة دامية متألمة لذلك، وقد اتخذ هؤلاء الأعداء التلفع بالتشيع وسيلة لحشد حشود، وتأليف جمعيات سرية تسعى فى نشر المذهب الباطنى – مذهب الإباحة والإلحاد – وجعلوا التشيع ستاراً لما يرون أن يبثوه بين الأمة من الرذيلة، ونذر البوار، وصنوف الإباحة والمروق على توالى القرون واختلاف البلدان، وقد تمكن كثير منهم من مخادعة الجمهور بدعوى النسب الطاهر عن آباء مستورين كذباً وزوراً، متذرعين لذلك باختفاء كثير من السادات فى الفتن خوفاً من شرور الجبابرة.

ولا يخفى على الباحث كيف كان انتقال ميمون بن ديصان بن سعيد إمام الباطنية – من أصبهان إلى الأهواز ثم إلى البصرة – متظاهراً إذ ذاك أنه من آل عقيل – ثم إلى شامية حمص بالشام، وكيف اتخذها معقلا له مدعياً الانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر – عليهم السلام – هناك مع أنه مات من غير عقب، ثم كيف بث دعاته فى أقطار

---

(١) طبعته دار إحياء الكتب العربية طبعاً جيداً ومصححاً تصحيحاً متقناً.

الأرض - مزودين بتعليمات فى الدعوة إلى ضلالهم على تسع منازل كما هو مشروح فى خطط المقريزى (٢-٢٢٧) وقد بعث من هناك دعاته إلى الكوفة واليمن، ومن هناك إلى المغرب.

ومن الأشخاص البارزة بين الباطنية: (حمدان بن الأشعث) الملقب بقرمط فى سواد الكوفة، وأخوه (ميمون) المبعوث إلى خراسان فيما بعد و(أبو شامة الحسين) و(عبدان) و(أبو سعيد حسن بن بهرام الجنابى) وابناه (أبو طاهر سليمان وسعيد) و(ابن حوشب) و(أبو عبد الله الشيعى) وأخوه (أبو العباس) المبعوثان إلى المغرب للدعوة إلى (عبيد المهدى) و(الحسن بن مهران المقنع) و(ذكرويه بن مهرويه) صاحب الفتن بالشام و(الحسن بن الصباح) صاحب الموت و(حمزة بن على).

ومن الأمور المعلومة لمن له إلمام بالتاريخ ما تم لكل واحد منهم من الأحداث فى الأقطار، كاستيلاء (أبى طاهر) على الحجاز وقلعه الحجر الأسود، واستيلاء (العبيديين) على شمالى أفريقيا والقطر المصرى، وتسليطهم الصقالبة، والروم، والأرمن، والكتاميين وغيرهم من صنوف الأعاجم على المسلمين، وتحكيمهم إياهم على رقاب أهل الإسلام بأنواع من الضيم، ودعوى الألوهية لأئمتهم، وإظهارهم كلمة الإلحاد علناً وجهاراً بعد أن كانو يسرونها إسراراً، وفتحهم باب الاستيلاء على بلاد الإسلام لطوائف الصليبيين ومؤامرتهم معهم ضد المسلمين إلى غير ذلك مما لا يستقصى من وجوه الفتن وضروب الخزى.

ومن العجب العجاب أن يدعى هؤلاء الملاحدة الانتماء إلى أهل بيت النبوة، فَيَرُوجُ هذا الادعاء على أناس، وحاش لله أن يجعل أهل بيت

رسوله دعاة للإلحاد ناشرين للرذيلة هادمين لأركان الإسلام، بل قد طهرهم الله من ذلك كله، ولله دَرّ القائل:

قال النبى مقال صدق لم يزل يحلو لدى الأسماع والأفواهِ

إن فاتكم أصل امرئ ففعاله تنبيكم عن أصله المتناهى

وأراك تسفر عن فعال لم تزل بين الأنام عديمة الأشباهِ

وتقول إنى من سلالة أحمد أفأنت تصدق أم رسول الله

وكثير من المتنقبين الأشرار كانوا يبيعون حجج النسب بأبخس الأثمان على توالى القرون ومن أبشع النماذج فى هذا الباب ما يعزى إلى النقيب عمر مكرم – فى عهد والى مصر المغفور له محمد على باشا الكبير – من إدخاله كثيراً من الفلاحين بل الأقباط واليهود فى النسب إلى أن رفع عامة العلماء فى القطر – وبينهم أمثال محمد الأمير شيخ مشايخ الأزهر – محضراً فى هذا الشأن إلى الوالى وإلى مقام الخلافة حتى أقصى النقيب من النقابة، ومثله ما يذكره الشهاب الخفاجى – عالم مصر فى القرن الحادى عشر – فى "ريحانة الألباء": وأما ما يقال (الناس أمناء على أنسابهم) فبمعنى قبول استلحاق رجل لولد مجهول النسب فيما ليس فيه جر مغنم، لا بمعنى وجوب تصديق كل من يدعى النسب الزكى مثلا بدون حجة شرعية، وإلا لاختلط الحابل بالنابل.

فمن زعم انتساب العبيديين إلى على – كرم الله وجهه – إما متساهل فى البحث والتحقيق قابل عن كل من هب ودب، أو منطوٍ على النصب والانحراف من أهل البيت يريد وصمهم بالموبقات، أو منتسب

إلى هؤلاء العبيديين ظناً أو حقيقة يود أن يجعل لهم منقبة النسب الشريف وقد ملأوا العالم بمثالبهم، أو متكاثر ألهاه تكاثره حتى جعله يكاثر بملاحدة أدعياء، وقليل ذليل من تكاثر واعتز بأعداء الدين.

ومن يعير سمعاً إلى الشرع لا يستطيع أن يغفل ما أرصده قاضى قضاة الدولة العباسية المعروف بعلمه وورعه الإمام أبو محمد بن الأكفانى بعد شهادة شهود فى نسب العبيديين من الحكم بإبعادهم عن النسب الزكى، وفى جملة موقعى ذلك المحضر المسجل فى التواريخ الشريفان (الرضى والمرتضى) و(ابن الجزرى) و(أبو حامد الإسفراييني) و(أبوعبد الله الضيمرى) و(أبو الحسين القدورى) و(أبوالفضل النسوى) و(أبوجعفر النسفى) وغيرهم من كبار الأئمة فى مذاهبهم.

وصورة ذلك المحضر: هذا ما شهد به الشهود أن معد[١] بن إسماعيل بن عبد الرحمن[٢] بن سعيد منتسب إلى ديصان بن سعيد الذى ينسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم بمصر وهو منصور[٣] بن نزار

---

(١) وهو المعز الذى اتخذ مصر عاصمة العبيدية بعد استيلاء قائده جوهر الصقلى عليها.ز.

(٢) وهو القائم، وله عدة أسماء وهذا من جملتها، وسعيد هو عبيد المهدى الذى ينسب إليه العبيديون، وعبيد هذا كان يظهر الرفض ويبطن الزندقة، قال أبو الحسن القابسى: الذين قتلهم عبيد الله وبنوه بعده ذبحاً فى دار النحر - التى كانوا يعذبون فيها الناس ليردوهم عن الترضى على الصحابة - أربعة آلاف رجل ما بين عالم وعابد اختاروا الموت على لعن الصحابة. اهـ. وأما الذين انصاعوا لهم وشرقوا - على مصطلحهم - ففى غاية من الكثرة، وأما الذين قتلوهم من عامة المسلمين فيما بين المغرب الأقصى ومصر فلا يعلم عددهم إلا الله سبحانه. ز.

(٣) وهو الحاكم بأمر الله، قال ابن كثير: ادعى الإلهية كما ادعاها فرعون، وكان أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن تقوم الصفوف لذكره إعظاما ولاسمه احتراماً، وكان يفعل هذا فى سائر مملكته حتى فى الحرمين الشريفين. اهـ. وكان أهل مصر على الخصوص إذا قام

الملقب بالحاكم – حكم الله عليه بالبوار والدمار – ابن معد بن إسماعيل ابن عبد الرحمن بن سعيد – لا أسعده الله – وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس – عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين – أدعياء خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب – رضى الله عنه – وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل، وأن هذا الناجم فى مصر هو وسلفه كفار زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون، أباحوا الفروج وأحلوا الخمور، وسبوا الأنبياء، وادعوا الربوبية وكتب فى ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة.

وأى مسلم يستبيح توقيع مثل هذه الصيغة إذا لم يكن الأمر واضحاً لديه كوضح الصبح؟ فضلاً عن أن يوقع أمثال هؤلاء الأئمة ماهو غير معلوم عندهم علماً تاماً، بل من درس أحوال هؤلاء العلماء الذين وقعوا هذا المحضر تيقن أن أصغرهم شأناً يفضل الموت على إصدار حكم مخالف للشرع فى نظره. وأين أمثال هؤلاء الجبال فى العلم والاستقامة والدين؟ وأين مثل الإمام أبى بكر الباقلانى – الذى هو مع هؤلاء فى إبعاد العبيديين من النسب الزكى؟ ولو أخذنا نسرد من يرى هذا الرأى من كبار أهل العلم على توالى القرون لطال بنا الكلام جداً. ولم يكن الخليفة القادر بقادر على إكراه أمثال هؤلاء الموقعين من أئمة العلم على

خروا سجدا فيسجد لسجودهم من فى الأسواق من الرعاع وغيرهم. وأين هذا من أمر المؤيد الخطباء أن ينزلوا درجة عند ذكر اسمه فى الخطبة ليكون ذكر اسم الله واسم رسوله وأسماء أصحابه فوق مكان يذكر فيه اسم السلطان، وكان ابن حجر أول من فعل ذلك فى الأزهر كما فى "حسن المحاضرة". ز.

القول على خلاف ما يعلمون، بل لو حاول ذلك لفقد كرسى الحكم فى الحال؛ لأنهم كانوا أهل الحل والعقد فى الدولة مع عظم منازلهم بين الأمة، فما نقضوه كان هو المنقوض، وما أبرموه كان هو المبرم فى ذلك العهد، على أن القادر بالله لم يوصم فى التاريخ بظلم ولا عدوان، بل يذكر بالدين والتقوى، فمن ظن بهؤلاء العلماء أنهم ينصاعون للإشارة من ظالم فقد ظلمهم وجهل مقدارهم فى الاستقامة، ولعل المتقوّل عليهم بذلك يظن بهم أنهم كهو فى الميل عن الحق بأدنى إشارة من فوق، والشعر المنسوب إلى الشريف الرضى فى الاعتداد بنسب العبيديين مختلق غير موجود فى ديوانه، وهو أجل قدراً من أن يظهر بمظهرين فى وقتين.

وهؤلاء العبيديون – أحفاد ميمون – يدعون الانتساب إلى أحمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق – رضى الله عنهم – لكن إسماعيل مات فى حياة والده، ومحمد لم يعقب كما نص على ذلك النسابون الثقات، وقد توسع فى بيان ذلك الإمام عبد القاهر التميمى فى "**الفَرْق بين الفِرَق**"

وأما دعوى أنهم من نسل أئمة مستورين فما هى إلا اعتراف منهم بأنهم مجهولو النسب – راجع "وفيات الأعيان" لابن خلكان (١:٢٥٩ و٢٧٢) – وسل المعز لسيفه ونثره للدنانير على الحضور قائلا: هذا نسبى وهذا حسبى، فى صدد الجواب عن السؤال عن نسبه مما هو مدون فى كتب التاريخ، وحديث البطاقة أشهر من نار على علم.

نعم للعبيديين فقه لكن مُدَوِّن فقههم ابن كلس اليهودى.

ولمذهب هؤلاء الزنادقة ألقاب على اختلاف البلدان، أشهرها "الباطنية" لزعمهم أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً انسلاخاً من



الدين، ويعرفون فى العراق باسم "القرامطة" – جمع قرمطى "نسبة إلى قرمط السابق ذكره" – وباسم المزدقية أيضا – بالنظر إلى أنهم يدينون بدين الاشتراك فى الأبضاع والأموال الذى ابتدعه مزدق فى عهد قباد الساسانى، ويسمون فى خراسان "بالتعليمية، والملاحدة، والميمونية" نسبة إلى ميمون أخى قرمط السابق ذكره دون ميمون بن ديصان لأنه ليس بفرع بل هو أصل البلاء كله، ويدعون فى مصر "بالعبيدية" نسبة إلى عبيد المعروف، وفى الشام "بالنصيرية، والدروز، والتيامنة" وفى فلسطين "بالبهائية" وفى الهند "بالبهرة والإسماعيلية" وفى اليمن "باليامية" نسبة إلى القبيلة المعروفة – وفى بلاد الأكراد "بالعلوية" حيث يقولون: علىّ هو الله – تعالى الله عما يقولون – وفى بلاد الأتراك "بالبكداشية، والقزلباشية" على اختلاف منازعهم، وفى بلاد العجم "بالبابية"، ولهم فروع إلى يومنا هذا تلبس لكل قرن لبوسه، وتظهر لكل قوم بمظهر تقضى به البيئة وقدماؤهم كانوا يسمون أنفسهم بالإسماعيلية باعتبار تميزهم عن فرق الشيعة بهذا الاسم، لكن دللنا فيما سبق على أن صلتهم بإسماعيل بن جعفر الإمام كصلتهم بالإسلام، بل تميزهم عن الفرق إنما هو بادعائهم حلول الإله فى أئمتهم (كبرت كلمة تخرج من أفواههم).

قال البهاء الجندى: كان عنوان كتب ابن فضل الباطنى باليمن إلى أسعد بن يعفر (مِنْ باسِطِ الأرض ودَاحِها، ومُزَلزِل الجبال ومُرْسِها علىّ ابن الفضل إلى عبده أسعد) وهكذا – قاتلهم الله – ما أجرأهم على الله!



ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج، ولدعوتهم تسع منازل يتدرجون بها إلى المكاشفة بالإلحاد المكشوف والإباحة المفضوحة.

وعن البلاغ السابع من بلاغاتهم السبعة يقول محمد بن إسحاق النديم: (قد قرأته فرأيت فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات، والوضع من الشرائع وأصحابها) ومن أقدم من رد عليهم: أبو عبد الله محمد بن على بن رزام الكوفى من أصحاب أبى بكر بن الإخشيد من رجال منتصف القرن الرابع، فمن جملة ما قال فى حقهم:

ومن شأن دعاتهم أن يتنقلوا فى الأرض ولا يطيلوا اللبث فى مكان واحد لكيلا يكون مملولاً مستثقلاً، وليكون أبعد من تمكين أحد من كشف بواطن أمره حذراً، ورأوا أن من أولى الأمور به أن يتعاطى من حفظ ألفاظ التوراة والأناجيل وكتب الأنبياء طرفاً، وأن يكون بكثير من اللغات عارفاً، وأن يتحلى بطرف من الهندسة ومعان من تهاويل المتفلسفة، وأن يسالم فى ظاهره أهل الديانات المختلفة، ويريهم فى بعض أحواله أن اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والإسلام كلها معان متقاربة ودعوة واحدة، وأن البلاء الذى وَهَمَ الجهال اختلافها اتكالُهم على ظاهرها دون باطنها وجهلهم بمعانيها وأوضاعها، وأن الآفة جاءت فى ذلك من الناقالين لها، وعملهم بغير ما توجبه حقائقها، وأن الناس لو عرفوا بواطن ذلك لاستراحوا واتفقوا وتآلفوا وما اختلفوا. اهـ.

وهذه مرحلة من مراحل دعوتهم، وهكذا يعملون فى مذاهب الإسلام أيضا مدندنين حول توحيدها تمهيداً للانسلاخ من الكل، وتجد ما

يضاهي هذا فى كتب غلاة المتصوفة - راجع "**الإنسان الكامل**" للجيلى - ولم يَخلُ هؤلاء من التأثير بالباطنية فى أمور وصنيع رجال (إخوان الصفا) إنما هو مرحلة أخرى من مراحل تلبيسهم واعتبار "أن الدين للعامة والحكمة للخاصة" كما يلفظ به هؤلاء وأذنابهم إنما هو مروق مكشوف.

وقد أجاد الرد عليهم الغزالى فى (**فضائح الباطنية**) و(**القسطاس**) بدون أن يتعرض لأنبائهم، والقاضى عبد الجبار الهمذانى رد عليهم قبله رداً جيدا فى كتابه "تثبيت دلائل النبوة" مع ذكر أنبائهم بمناسبات.

ووقائعهم موزعة على السنين فى كتب التاريخ ففى ابن الأثير وأبى الفداء، وابن الوردى، وابن كثير، وابن خلدون أنباء كافية عنهم وقد تكلم عبد القاهر التميمى فى "**الفرق بين الفرق**" (٢٦٥) على معتقدهم بنوع من البسط واستطرد المحبى فى خلاصة الأثر (٣-٢٦٨) وقال عند الكلام على الدروز: (وأما القول فيهم من جهة الاعتقاد فهم والنصيرية والإسماعيلية على حد سواء، والجميع زنادقة وملاحدة) ثم نقل عن كثير من كبار أهل العلم فى المذاهب نص قولهم: (أن كفر هؤلاء الطوائف مما اتفق عليه المسلمون، وأن من شك فى كفرهم - بعد العلم بحالهم - فهو كافر مثلهم، وأنهم أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم لا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبائحهم) إلى آخر ما أطال به - رحمه الله.

وفى تاريخ الكافى (٢:٣٠٤ - ٣١٩) بسط واف فى معتقدهم الباطل، وكم أثارت جمعياتهم السرية من فتن هوجاء على تعاقب القرون.

وأما أشخاص تلك الجمعيات فيدور حولها اختلاف كثير فى كتب الملل والنحل، وكتب التاريخ، وكتب الردود، وذلك أمر طبيعى بالنظر إلى أن جمعياتهم كانت سرية، وكانوا يتسمون بأسماء دون أسماء فى وقت دون وقت فى عهد الكمون قبل أن تستقر لهم دولة، فالباحث فى حاجة شديدة إلى الاطلاع على جميع النصوص والأقاويل فى شتى المصادر ليستخلص من بينها الحقيقة، ولا شك أن من أهم المصادر فى هذا الباب الكتب التى يكون مؤلفوها شهدوا الفتن وشاهدوا سيرها، ولكن قل ما بالأيدى من أمثال تلك الكتب بالنسبة إلى القرامطة الأقدمين.

فدونك أول كتاب برز فى عالم المطبوعات من تلك الكتب وهو (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) تأليف الفقيه أبى عبد الله محمد ابن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى من فقهاء السنة باليمن فى أواسط المائة الخامسة، وهو تمكن من الاندساس بين الصليحيين من أهل هذا المذهب فى اليمن حتى خبر خبرهم ودرس ظاهرهم وباطنهم، ثم ألف هذا الكتاب بياناً لما انطووا عليه من صنوف المخازى ووجوه الاحتيال وتحذيراً للمسلمين من الاغترار بمبادئ دعوتهم.

وقد نقل مؤرخ البلاد اليمنية فى أوائل القرن الثامن القاضى بهاء الدين يوسف الجندى بعض نتف من هذا الكتاب فى تاريخه، لكن لم يكن الأصل بمتناول أيدى الباحثين، إلى أن ظفر به الأستاذ الأديب البحاثة السيد عزة العطار – حفيد حفيد العلامة محدث الشام المرحوم السيد حامد ابن أحمد بن عبيد العطار الحسينى شيخ مشايخ مشايخنا فى الحديث – فرغب فى نشره فى إعداد مطبوعاته القيمة ليعم نفعه ويسهل تناوله لكل

باحث، وأطلعنى على نسخة من الكتاب فطالعتها وعلقت على مواضع منها كليمات نزولاً عند رغبته ووضعت فى آخر كل تعليقة لى (ز.) ليمتاز ما هو لى عما هو لغيرى وكتبت هذه التقدمة للإلمام بأطراف الحديث.

والقارئ الكريم المهتم بالنِّحَل يجد فى هذا الكتاب من التوسع فى بيان أنباء قرامطة اليمن خاصة ما لا يجده فى كتاب سواه، ويلقى فيه أيضاً من أنباء تتعلق بنشأة القرامطة الباطنية ما لا يجد فيما سواه، فيقف من مقارنة ما فيه بما فى المصادر الأخرى على جلية الأمر فيحذر المسلمين من صنوف مكائدهم، ومن الوقوع فى هاويتهم، والله سبحانه ولى الهداية.

محمد زاهد الكوثرى



بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك - رحمة الله عليه: اعلموا أيها الناس المسلمون - عصمكم الله بالإسلام، وجنبنا وإياكم طرق الآثام، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته، وسددكم - أنى كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحى كما تسمعون، وما يتكلم به عليه من سيئ الإذاعة وقبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غدا؟ فيقول: ما شهدت ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس، فكنت أتعجب من هذا أولاً ولا أكاد أصدق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس ونطقت به الألسن، فتارة أقول: هذا مالا يفعله أحد من العرب والعجم ولا سُمِع به فيما تقدم فى سالف الأمم، إنما هذه عداوة من الناس للمآل الذى بلغه من غير أصل ولا أساس، وكنت كثيرا ما أسمعه يقول: (حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا).

فرأيت أن أدخل فى مذهبه لأتيقن صدقَ ما قيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه وأبينه للمسلمين وأوضحه أن له نواباً يسميهم: الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم "المكلبين "تشبيهاً لهم بكلاب الصيد"، لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام كالذى ينثر الحب للطير ليقع فى شَرَكه، فيقيم أكثر من سنة يمنعون به، وينظرون صبره، ويتصفحون أمره ويخدعونه بروايات عن النبى ﷺ محرفة وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعلمونه، والانقياد بما يأمرونه، قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر، ولا ترض لنفسك، ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معانى الصلاة والطهارة، وما روى عن النبى ﷺ بالرموز والإشارة دون التصريح فى ذلك العبارة[1] فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه، فيقول: عم أسأل؟ فيقول: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣] فالزكاة مفروضة فى كل عام مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة فى السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار وأيضا فالصلاة والزكاة لهما باطن، لأن الصلاة صلاتان، والزكاة

(١) هكذا بالأصل.انتهى.المصحح.

زكاتان، والصوم صومان والحج حجان، وما خلق الله من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام:١٢٠] و﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣] ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس، وعرفه الخاص والعام... أما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠] وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤] وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم.

والصلاة والزكاة سبعة أحرف، دليل على محمد وعليّ صلى الله عليهما؛ لأنهما سبعة أحرف، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلى، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبى ﷺ فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة لأنه مذهب الراحة والإباحة، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله.

فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا، قالوا له: قرب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ويضع عنك هذا الإصر فيدفع اثنى عشر ديناراً، فيقول ذلك الداعى: يا مولانا إن عبدك فلاناً قد عرف الصلاة ومعانيها، فاطرح عنه الصلاة، وضع عنه هذا الإصر وهذه نجواه اثنا عشر ديناراً، فيقول: اشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه، ويقولون: الحمد لله الذى وضع ﴿عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢-٣] ثم يقول له ذلك الداعى الملعون بعد مدة: قد عرفت الصلاة، وهى أول درجة، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات، فاسأل وابحث، فيقول: عم اسأل؟ فيقول له: سل عن الخمر والميسر اللذين نهى الله تعالى عنهما وهما: أبو بكر وعمر لمخالفتهما على علىّ وأخذهما الخلافة دونه، فأما ما يُعمَل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام؛ لأنه مما أنبتت الأرض، ويتلو عليه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] إلى آخر الآية، ويتلو عليه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ﴾ [المائدة:٩٣] إلى آخر الآية، والصوم: الكتمان، فيتلو عليه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] يريد: كتمان الأئمة فى وقت استتارهم خوفاً من الظالمين ويتلو عليه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:٢٦] فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئاً فدل على أن الصيام الصموت، فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً وينهمك إلى قول ذلك الداعى الملعون، لأنه أتاه بما يوافق هواه، والنفس أمارة بالسوء.

ثم يقول له: ادفع النجوى تكون لك سلما ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم، فيدفع اثنى عشر ديناراً فيمضى به إليه، فيقول: يا مولانا، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة، فأبح له الأكل برمضان، فيقول له: قد وثقته وأمنته على سرائرنا؟ فيقول: نعم، فيقول:

قد وضعت عنه ذلك، ثم يقيم بعد ذلك مدة، فيأتيه ذلك الداعى الملعون فيقول له: قد عرفت ثلاث درجات، فاعرف الطهارة ما هى؟ ومعنى الجنابة ما هى فى التأويل؟ فيقول: فسر لى ذلك، فيقول له: اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره، وأن الجنابة هى موالاة الأضداد، أضداد الأنبياء والأئمة فأما المنى فليس بنجس، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته وكيف يكون نجساً وهو مبدأ خلق الإنسان وعليه يكون أساس البنيان؟ فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول أوجب لأنهما نجسان، وإنما معنى ﴿**وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ**﴾ [المائدة:٦] معناه: فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذى هو حياة الأرواح، كالماء الذى هو حياة الأبدان، قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [الأنبياء:٣٠] وقوله: ﴿**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ**﴾ [الطارق:٥، ٦] فلما سماه الله بهذا دل على طهارته ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة، ثم يأمره ذلك الداعى أن يدفع اثنى عشر ديناراً، ويقول: يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة، وهذا قربانه إليك، فيقول: اشهدوا أنى قد حللت له ترك الغسل من الجنابة.

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعى الملعون: قد عرفت أربع درجات وبقى عليك الخامسة فاكشف عنها، فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ويتلو عليه: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة:١٧] فيقول له: ألهمنى إياها، ودلنى عليها، فيتلو عليه: ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ [ق:٢٢] ثم يقول له:

أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا؟ فيقول: وكيف لى بذلك؟ فيتلو عليه: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل:١٣] ويتلو عليه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢] والزينة هاهنا ما خفى على الناس من أسرار النساء التى لا يطلع عليها إلا المخصصون بذلك وذلك قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] والزينة مستورة غير مشهورة، ثم يتلو عليه: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢١-٢٢] فمن لم ينل الجنة فى الدنيا لم ينلها فى الآخرة، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب، وأهل العقول دون الجهال، لأن المستحسن من الأشياء ما خفى، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة، وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس، والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها، والترس المجن لأنه يستتر به، فالجنة هاهنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس، الذين لا علم لهم ولا عقول، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكاً، ويقول لذلك الداعى الملعون: تلطف فى حالى، وبلغنى إلى ما شوقتنى إليه، فيقول: ادفع النجوى اثنى عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلماً، فيمضى به فيقول: يا مولانا: إن عبدك فلاناً قد صحت سريرته وصفت خبرته، وهو يريد أن تدخله الجنة، وتبلغه حد الأحكام وتزوجه الحور العين، فيقول له: وقد وثقته وأمنته؟ فيقول: يا مولانا قد وثقته وأمنته وخبرته، فوجدته على الحق صابراً، ولأنعمك شاكراً فيقول: علمنا صعب مستصعب، لا يحمله إلا نبى مرسل، أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان، فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى

زوجتك، فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعا وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته، فيبيت مع زوجته، حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال: قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع ويدعو له، فيقول له: ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى من أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون.

ثم يقول له: لابد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا، فادفع قربانك، فيدفع اثني عشر ديناراً، ويصل به ويقول يا مولانا إن عبدك فلاناً يريد أن يشهد المشهد الأعظم، وهذا قربانه، حتى إذا جن الليل ودارت الكئوس، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفأوا السرج والشموع وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم وحط عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم **﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾** [فصلت:٣٥].

قال محمد بن مالك – رحمه الله تعالى: هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد، والله تعالى عليّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد

عليّ بجميع ما ذكرته، عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله من كذب عليهم وأعد له جهنم وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته، فأديت هذه النصيحة إلى المسلمين حسب ما أوجبه الله عليّ من حفظ هذه الشهادة فإن الله سبحانه وتعالى أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] والله أسأله أن يتوفانا مسلمين، ولا ينزع عنا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنه ورحمته.

المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها

وقد رأيت أيها الناس – وفقنا الله وإياكم للصواب، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب – أن أذكر أحبال هذه الدعوة الملعونة؛ لئلا يميل إلى مذهبهم مائل، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل، ويكون فى هذا القدر من الكلام فى هذا الكتاب إنذار لمن نظره، وإعذار لمن وقف عليه واعتبره.

باب

اعلموا يا إخوانى فى الإسلام أن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء والدواء أصولاً، وللأصول فروعاً، وأصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوى به[١] الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور عبد الله[٢] بن ميمون القداح فى الكوفة وما كان له من الأخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة، ودخوله فى طرق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته إياها على الطغام، ومكيدته لأهل الإسلام.

وكان ظهوره فى سنة ست وسبعين ومائتين من التاريخ للهجرة النبوية؛ فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم الغوائل، ولبس الحق بالباطل

---

(١) هكذا بالأصل والصواب: "بها" .اهـ. مصححه.

(٢) المصنف يذكر ميموناً مرة وابنه أخرى كما هنا، وقد جارينا الأصل فى ذلك وفيما يسوقه من أبنائهما هنا بعض مخالفة لما ذكر عبد القاهر فى "الفرق" وابن النديم فى "الفهرست" والمقريزى فى "الخطط" وغيرهم، فكل منهم دون ما بلغه من الأنباء، وفى تمحيص ذلك كله طول .ز.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر:١٠] وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيراً ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلاً، وزخرف الأقوال، وضرب الأمثال، وجعل لآى القرآن شكلاً يوازيه ومثلاً يضاهيه، وكان الملعون عارفاً بالنجوم معطلاً لجميع العلوم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨] فجعل أصل دعوته التى دعاها، وأساس بنيته التى بناها الدعاء إلى الله وإلى رسوله، ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله، والاختصاص لعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه – بالتقديم والإمامة، والطعن على جميع الصحابة بالسب والأذى، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لعن الله من سب أصحابى**»[1] وقال عليه السلام: «**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[2] وقال ﷺ: «**من سب أصحابى**[3] **فقد سبنى، ومن سبنى فقد سب الله، ومن سب الله كبه الله على وجهه فى النار**» فأفسد بتمويهه قلوب الجهال وزين لهم الكفر والضلال، وله شرح يطول فيه الخطاب غير أنى أختصر، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولى الألباب والأبصار وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد

---

(١) ولفظ الطبرانى عن ابن عباس مرفوعاً: «من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وفى سنن الترمذى: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا: لعنة الله على شركم» وفى الباب أحاديث يعضد بعضها بعضاً. ز.

(٢) أخرجه رزين، وله طرق ضعيفة. ز.

(٣) ولفظ أم سلمة عند أحمد: «من سب علياً فقد سبنى». ز.

الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها "سلمية[١]"، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب، وكان صائغاً يخدم (شيعة) "إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين على ابن أبى طالب" - عليهم السلام - وكان حريصاً على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله فى اليهود من عداوة الإسلام وأهله، والبغضاء لرسول الله ﷺ، فلم يرَ وَجْهاً يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام ألطف من دعوته إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، وكان قد خرج فى أيام "قرمط[٢] البقار" وكان اسمه أو لقبه؛ لأنه كان يقرمط فى سيره إذا مشى[٣] ولذلك نسب إلى أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون إلى قرمط لأنهما اجتمعا وعملا ناموساً يدعوان إليه، وكان يعرفان النجوم وأحكام الأزمان فدلهما الوقت على تأسيس ما عملاه فخرج ميمون إلى الكوفة، وأقام بها مدة، وله أخبار يطول شرحها مما كان منه ومن "على بن فضل" و"المنصور" صاحب مسور وأبى سعيد الجنابى وأنا أشرح ذلك عند انتهائى إليه - إن شاء الله تعالى - وأما قرمط البقار فإنه خرج إلى بغداد، فقتل هناك - لا رحمه الله.

---

(١) سلمية: بليدة بالشام من أعمال حمص. ز.

(٢) قرمط: وهو حمدان بن الأشعث، وكان خروجه سنة ٢٦٤ كما يذكره ابن المهذب، وكان ظهور الجنابى بالبحرين سنة ٢٨٦. ز.

(٣) يعنى: يقارب بين خطواته، ومنهم من يقول: إنه كان أحمر البشرة، فلقب بقرمط، و(كرمت) الآجر فى لغة الروم فعرب، وقيل: قرمد، ثم قرمط. ز.

باب ذكر ما كان من القداح وعقبه - لعنه الله - ومن تعلق بسببه ودخل فى ضلالته ومذهبه

وكان أول أولاده عبيد[١] وهو المهدى، ثم محمد وهو القائم، ثم (الطاهر) إسماعيل المنصور، ثم (المعز)، ثم (العزيز) ثم (الحاكم) ثم (الظاهر)، ثم (معد المستنصر)[٢] هؤلاء الذين ينسبون إليه إلى عصرنا هذا، فانتسابهم إلى ولد الحسين بن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وانتحالهم إليه انتحال كاذب وليس لهم فى ذلك برهان، وأهل الشرف ينكرون؛ ذلك فإنهم لم يجدوا لهم فى الشرف أصلاً مذكوراً، ولا عرفوا لهم فى كتاب الشجرة نسباً مشهوراً، بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب إلا من دخل معهم فى كفرهم وضلالتهم فإنه يشهد لهم الزور ويساعدهم فى جميع الأمور، وقد زعموا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق، وحاش لله ما كان لمحمد إسماعيل من ولد، ولا عرف ذلك من الناس أحد، بل هم **﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾** [إبراهيم:٢٦] الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون: معداً المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى وهو عبيد[٣] بن ميمون، ثم

---

(١) إليه تنسب دولتهم فيقال: "دولة العبيدية بمصر" ويتورع أهل التحرى عن تلقيب دولتهم "بالفاطميين" حيث لم يثبت نسبهم المزعوم كما حققه أهل التحرى من ثقات المؤرخين. ز.

(٢) والمستنصر هذا توفى سنة ٤٨٧هـ، فيكون المؤلف من رجال أواسط القرن الخامس. ز.

(٣) لم أر من عبيداً بن ميمون مباشرة، والمشهور أنه سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون. خرج سعيد هكذا متنكراً إلى مصر ثم إلى المغرب فادعى هناك أنه علَوى

يقولون: ابن الأئمة المستورين من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، فإذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين حادوا عن الجواب[1] وكان للسائل لهم الارتياب وقالوا: هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا بإظهارهم ولا ذكرهم لأحد وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا إليه.

والدليل على أنهم من ولد اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة وتفويضهم إليهم تدبير السياسة ما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد.

فاطمى بعد أن ادعى قبل ذلك أنه عقيلى، وتسمى هناك أيضاً "عبيد الله" وتلقب بالمهدى حتى تم له ما هو مشروح فى التواريخ. ز.

(١) ومن المعروف عند المؤرخين أن المعز العبيدى لما قرب إلى مصر بعد فتحها بمعرفة قائده وخرج الناس للقائه اجتمع به جماعة من الأشراف فقال له أحدهم: (إلى من ينتسب مولانا؟ قال له المعز: سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال: هل بقى من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر، فَسَلَّ عند ذلك نصف سيفه وقال: هذا نسبى، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال: هذا حسبى، فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا) وفى المحضر الذى أصدره أهل العلم ببغداد سنة ٤٠٢هـ: (..أنهم أدعياء لا نسب لهم فى ولد على – رضى الله عنه – ..) ومن جملة من وقع عليه الشريفان الرضى والمرتضى وأبو محمد الأكفانى القاضى وأبو حامد الإسفرايني وأبو حسين القدورى وغيرهم من كبار الأئمة. وهذا حكم شرعى يجب أن يخضع له، ولو أعطى أحد هؤلاء الدنيا بحذافيرها لما حكم بما يخالف الحق والصدق عندهم كما لا يخفى على من درس سيرهم، والشعر المنسوب إلى الشريف الرضى غير متصور ثبوته عنه، ولم يكن القادر بالله بقادر على إكراههم على خلاف ما يرونه. وكلمة ابن خلدون عن هوى خاص، وكذا توهم المقريزى كما هو مبسوط فى: (الإعلان بالتوبيخ) للسخاوى. ز.

باب خروج ميمون[١] القداح من سلمية إلى الكوفة

وقد ولد له عبيد وهو الذى يسمونه "عبيد الله المهدى"، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهما ماكانا يطلبان وإلى أن أجابهما إلى ذلك تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون منهم "على بن فضل الجدنى اليمانى" و"أبو القاسم بن زاذان الكوفى" المسمى المنصور عند كونه فى اليمن فى مسور، و"أبو سعيد الجنابى" صاحب الأحساء والبحرين، و"أبو عبد الله الشيعى" صاحب كتامة فى الغرب، و"الحسن[٢] ابن مهران" المسمى "بالمقنع" الخارج فيما وراء النهر من خراسان و"محمد بن زكريا" الخارج فى الكوفة، ولابد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصراً - إن شاء الله تعالى.

باب ذكر أبى سعيد الجنابى - لعنه الله -

كان فيلسوفاً ملعوناً، ملك البحرين واليمامة والأحساء، وادعى فيها أنه المهدى القائم بدين الله، فاستفتح[٣]... ودخل مكة وقتل الناس فى المسجد الحرام، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به إلى الأحساء وقال فى ذلك شعراً:

---

(١) لا يرى القارئ الكريم مثل ما هنا فى الكتب المتداولة لكن رجال الجمعيات السرية الثورية لا يستغرب اختلاف الأنباء عنهم، فليمحص الباحث تلك الروايات بعد اطلاعه عليها. ز.

(٢) وله عدة أسماء: "عطاء" و"حكيم". ز.

(٣) هنا بالأصل نقص، ولعل الناقص: (ثم قتله خادم له صقلى راوده فى الحمام سنة ٣٠١هـ وتولى بعدُ ابنه الأكبر سعيد فغلبه أخوه الأصغر أو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى حتى استفحل أمره). ز.

ولو كان هــذا البيــت لله ربنـــا لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأنـــا حججنـــا حجـــة جاهليـــة مجللة لم نبق شرقاً ولا غربـــا

وأنا تركنا بـــين زمـــزم والصـــفا جنائز لا تبغى سوى ربها ربـــا

وله – لعنة الله عليه – أشعار بالقدر فى ذلك تركتهـــا اختصـــاراً وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشـــر ألفـــا – عليه لعنة الله.

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع

خرج فيما وراء النهر، وله أخبار شنيعة، وكان حكيمـــاً فيلســـوفاً ملعوناً، ذكروا أنه عمل قمراً بالطلسم يطلع فى السنة أربعين ليلة، ولقـــد كنت أكذب ذلك حتى صححه لى جماعة من أهل خراسان، وذكروا أنـــه بنى حصناً وعمل فيه لوالب، فكان المســـلمون إذا أتـــوا لقتالـــه قُـــذِفُوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون، فمال إليه خلق كثير حتى بعـــث الله عليهم غلاماً حكيماً، فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا على اللوالب فأخرجوها ودخلوا عليه فقتلوه، وقيل: إنـــه أحـــرق نفســـه قبـــل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه.

باب ذكر محمد بن زكريا – لعنه الله –

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطى، وكان قـــد خـــرج بالكوفة، فخرج إليه المكتفى أمير المؤمنين من بنى العباس فقتله – لعنـــه الله ولا رحمه.

باب ذكر على بن فضل الجدنى - لعنه الله -

من ذرية ذى جدن، والأجدون من سبأ صهيب، وأصله من جيشان[١]، وكان فى أوله ينتحل "الاثنا عشرية"، فخرج للحج، ثم زار قبر النبى ﷺ، ثم مضى إلى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن على - رضى الله عنه - فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين - رضى الله عنه - بكى على القبر بكاء شديداً، وجعل ينوح ويقول: بأبى أنت يا بن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء، وكان ميمون القداح على القبر، وولده عبيد، فلما بصرا به سرهما وطمعا به، وعلما أنه ممن يميل إليهما ويدخل فى ناموسهما، فقال ميمون: أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر؟ قال: إذاً والله أضع له خدى وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيداً. فقال ميمون: أتظن أن الله قطع هذا الأمر؟ قال له على بن فضل: لا ولكنى لا أعلم ذلك، فهل عندك منه خبر أيها الشيخ؟ فقال: أخبرك به - إن شاء الله - عند الإمكان، ثم قام ميمون فتعلق به فقال ميمون: تقف بهذا المسجد إلى غد، فوقف أياماً فلم ير له خبراً فودع أصحابه، وقال لهم: أما أنا فلا أبرح هاهنا حتى أتنجز وعداً قد وعدته، فأخذ له من المئونة ما يكفيه فوق أربعين يوماً، وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بهما.

فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لا يخالفه فى شىء من دعوته والميل إلى كفره وضلالته، فأتاه عبيد فوثب إليه فاعتنقه وقال:

---

(١) جيشان والأجدون وسبأ وصهيب بلدان فى اليمن معروفة إلى اليوم.

سبحان الله يا سيدى، وعدنى الشيخ وعداً فأخلفنى، فقال: لم يخلفك وإنما قال: أنا آتيك غداً - إن شاء الله - وله فى ذلك مخرج على ضميره، ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له: يا أخى اعلم أن ذلك الشيخ أبى، وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك، وهو يبلغك محبوبك - إن شاء الله ثم أخذ بيده فأوصله إلى الشيخ، فلما رآه قال: الحمد لله الذى رزقنى رجلاً نحريراً مثلك أستعين به على أمرى، وأكشف له مكنون سرى، ثم كشف له أمر مذهبه - لعنهما الله - فأصغى إليه، واشرأب قلبه، وتلقى كلامه بالقبول، وقال له على: والله إن الفرصة ممكنة باليمن، وإن الذى تدعو إليه جائز هنالك، وناموسنا يمشى عليهم، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام، وتشتيت الرأى وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية فقال له ميمون: أنا موجهك، والمنصور الحسن بن زاذان، وكان ينسب إلى ولد مسلم بن عقيل ابن أبى طالب، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثنا عشرية، وكان من أهل الضلال، وكان من أهل الكوفة، فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان علم أنه مسعود وأنه ينال ملكاً وشرفاً، وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة، فجعل ميمون يلطف به ويرفق فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم، فلم يزل به حتى قبل منه وركن إلى قوله، وما زال به حتى مال إلى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون إليه وإلى ولده، فعند ذلك قال ميمون: يا أبا القاسم إن الدين يمانى والحكمة يمانية وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فإنه يكون ثابتاً لثبوت نجم النجم، وذلك أن إقليم اليمن أعلى أقاليم الدنيا، ولابد من

خروجك إلى هناك أنت وأخوك على بن فضل اليمانى فسيكون لكما شأن وملك وسلطان فى اليمن، فكونا على أهبة، فقال له: الأمر إليك يا سيدى.

قال المنصور: كنت أنا وعلى بن فضل وعبيد لا نزال نكثر المذاكرة فى مجلس الشيخ، وكان يقول عند تمام الوقت ومُضِىّ ستة أدوار من الهجرة المحمدية: أبعثكما إلى اليمن تدعوان إلى ولدى هذا فسيكون له ولذريته عز وسلطان، وأخذ عَلَىّ وعَلَى عَلِىّ بن فضل العهود والمواثيق لولده، فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون: هذا هو الوقت الذى كنا ننتظره فاخرجا فى هذا الموسم، ثم وجهنا إلى اليمن نتظاهر بالحج وعهد إلينا، ثم خلا بى وأوصانى بالاستتار حتى أبلغ مرادى، وقال لى: الله الله بصاحبك فاحفظه وأكرمه بجهدك، ومره بحسن السيرة فى أمره فإنه شاب ولا آمن نبوته، وخلا بعلى بن فضل، وقال: الله الله بصاحبك وقره واعرف له حقه، ولا تخالفه فيما يراه لك، إنه أعرف منك، وإنك إن خالفته لم ترشد، قال المنصور: فلما صرت فى بعض الطريق، لحقنى كمد عظيم لحال الغربة، وإذا بحاد يحدو ويقول:

يا أيها الحادى المليح الزجر نشر مطاياك بضوء الفجر

تدرك ما أملته من أمر

قال: فلما سمعت ذلك سررت به واستبشرت، فوصلت مكة مع الحج وذلك فى أيام محمد بن يعفر الحوالى[١] ثم أقبلنا نسأل عن أخبار

---

(١) **بنو يعفر من حمير بقية الملوك التبابعة، استبدوا بصنعاء مقيمين للدعوة العباسية وكان آخرهم أسعد بن يعفر، ثم أخوه محمد، فدخلوا فى طاعة بنى زياد. ز.**

اليمن، فقيل لنا: إن الأمير محمد بن يعفر رد المظالم واعتزل عن الناس ورجع إلى التنسك والعبادة، فقلنا: ولم فعل ذلك؟ فقيل لنا: إنه قيل له: إن فى هذه السنة يخرج عليه خارجى فيكون زوال أمره على يديه، ويقال: إنه رد فى يوم واحد ألف دينار، وقام فى بنى حوال رجل يقال له إبراهيم فقال:

يا ذا حوال يا مصابيح الأفق تداركوا عزكم لا ينفتق

فتطلبون رتق ما لا يرتتق فأيكم قام بها فقد سبق

فقام ولد محمد بن يعفر.

قال محمد بن مالك الحمادى - رحمه الله: فلما خرج على بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا فى غلافقة[1] افترقا، وقال كل واحد منهما لصاحبه: أعلمنى بأمرك وما يكون منك، فوصل المنصور إلى الجند[2] وصاحب الأمر يومئذ جعفر بن إبراهيم المناخى، وخرج على بن فضل إلى ناحية جيشان، فأما المنصور فإن ميموناً كان قال له: لا يظهر أمرك إلا من موضع يقال له عدن (لاعة)[3] فإنه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك وإنما دله على ذلك الفلسفة وعرف ما سطره فى كتبهم

---

(١) وهى تعرف اليوم بغليفقة، بلدة بساحل اليمن كانت من أشهر موانيه.

(٢) الجند: مدينة باليمن تبعد عن صنعاء جنوباً بستة أيام.

(٣) وهى أول موضع ظهرت فيه الدعوة للإسماعيلية باليمن، منها قام منصور اليمن ومنها قام محمد بن الفضل الداعى سنة ٣٤٠هـ، وممن وصل إليها من الدعاة: أبو عبد الله الشيعى صاحب الدعوة بالمغرب، وفيها قرأ الصليحى فى صباه - كما ذكره عمارة. ز. عدن لاعة: بلدة فى غرب صنعاء تبعد عنها مسيرة أيام. عدن أبين: هى عدن لحج، الثغر الطبيعى لليمن.

من تسمية الأقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة، فلما صار المنصور إلى الجند سأل عن عدن لاعة فقالوا: لا نعرف إلا عدن أبين فدخل عدن أبين بتجارة تصلح لعدن، كما يفعل التجار، فأقام أياماً فيها يسأل عن عدن لاعة مدة مقامه هناك، فبصر به شيخ من تجار عدن، فأنكره، فسأله عن حاله، فقال: أنا رجل من أهل العراق، وكنت حاجاً فى هذه السنة قال: فهل عندك خبر؟ قال: لست صاحب أخبار، وعم تريد أن أخبرك عنه؟ قال له العدنى: هل حدث فى الشام حدث؟ قال: لا علم لى بشىء فلم يزل به حتى أعلمه ما فى ضميره، فعاهده المنصور على كتمان سره وسأله عن عدن لاعة فقال: هى معروفة ولا يزال أهلها من التجار يصلون إلينا، وأنا أعلمك بهم إذا وصلوا، ويقال: إن هذا العدنى جد بنى الوزان فاسدى المذهب، وبنو الوزان إلى اليوم رفضة شيع، فلما وصل التجار من عدن لاعة ومن عيان(١) فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه وأنه فى ناحية بلادهم وهى قرية صغيرة، قالوا: فمن أعلمك بها؟ قال: الناس يسمعون بذكر البلدان، فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم وقال: أنا رجل من أهل العلم، وقد رغبت بالخروج معكم إلى بلدكم، ففرحوا به وأكرموه وقالوا: مرحباً بك، نحن أحوج إلى من يبصرنا فى أمر ديننا، ونحن نكفيك المئونة ونحملك، فأثنى عليهم وشكرهم وقال: لا حاجة لى فيما عندكم وإنما أردت وجه الله تعالى فارتحل معهم فكان يسامرهم ويروى لهم أحسن الأخبار، فأحبوه وأصغوا

---

(١) عيان: بلدة باليمن بالقرب من عدن لاعة.

إليه وإلى قوله، فكانوا يحدقون به إكراماً وتبجيلاً حتى قدموا لاعة فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة، فتسامع به الناس وأقبلوا إليه من كل ناحية وهو مستعمل للورع وحسن السيرة، حتى مالت إليه مخاليف المغرب (لاعة وأردان[1] وحجة وعيان وبلدان البياض[2]) فأمرهم بجمع زكاة أموالهم، فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولاً يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه، فأقام سنتين بعد قتل محمد بن يعفر، واختلاف بني حوال فيما بينهم، فقال لهم: قد رأيت أن تبنوا موضعاً منيعاً يكون لبيت مال المسلمين، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم به، فأجمعوا على بناء موضع يقال له: "عبر محرم" وهو جبل تحت مسور وهو موضع بنى العرجى، قوم من سلاطين المغرب همدان، فلما بنى الجبل وحصنه حمل إليه كل ما يحتاج إليه بعد أن ساعده إلى إرادته خمسمائة رجل، وأخذ عليهم العهود والمواثيق، ثم إنه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم، وذلك بعد أن أخرج الحوالى عسكراً فى جنح الليل إلى موضع كانوا فيه يقال له: "الحيفة" فى ناحية لاعة فقتل من أصحاب المنصور اثنى عشر، وارتكب الجبل عبر محرم بمعاملة لبنى العرجى، وأنكر الناس أمره وأضرموا النيران لحربه، فكتب إليهم: إنى ما طلعت هذا الجبل إلا لأحصن به نفسى من السلطان، فلم يقبلوا منه وجاسوا إليه فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم بشراً كثيراً، فعظم حينئذ شأنه، وشاع إلى جميع العشائر ذكره، وبلغ الأمير ذلك فكتب إلى

---

(١) لعلها عزان.

(٢) بلدان معروفة باليمن إلى اليوم وتابعة لقضاء حجة.

جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله، فقاتلوه مراراً وهو ينتصر عليهم، ثم استنجدوا عليه رجلاً من سلاطين شاور يقال له: "أبو إسماعيل وبالحوالى صاحب صنعاء، فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلاً كثيراً، فازداد بذلك ذكره وعظم أمره، ودخل فى طاعته من كان حوله طوعاً وكرهاً، واستعمل الطبول والرايات، وأظهر مذهبه ودعا إلى عبيد بن ميمون، وكان يقول: والله ما أخذت هذا الأمر بمالى ولا بكثرة رجالى، وإنما أنا داعى المهدى الذى بشر به النبى ﷺ، فانهمك إليه عامة الناس ودخلوا فى بيعته ومذهبه، ثم سمت به همته إلى ارتكاب جبل مسور حصن يقال له "فاير"(١) فيه خمسمائة رجل مأمور للحوالى، فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلاً منهم، فارتكب الجبل بالليل، فأصبح فى رأسه وقصد من كان فى بيت فاير وفتح له العشرون الذين عاملوه وقالوا: ادخلوها بسلام آمنين، فقال المنصور: اخرجوا منها فإنا داخلون، وسأل صاحب الحصن الأمان على نفسه ومن معه فأمّنهم فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلاً نزل عن دابته ومشى إليه واعتنقه فزال عنه الرعب، وقال له: إن معى مالاً للسلطان فمن يقبضه؟ فقال المنصور – لعنه الله –: لسنا ممن يرغب فى مال السلطان، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس، وإنما طلعت لإصلاح الإسلام والمسلمين، خذ مال صاحبك فأده إليه، فذكروا أنه – لعنه الله – طلع جبل مسور فى ثلاثة آلاف رجل معه ثلاثون طبلاً فكانت طبوله إذا ضربت

---

(١) حصن من أمنع حصون اليمن إلى يومنا هذا.

سمعت إلى المواضع البعيدة من المغرب، ثم إنه بعد ذلك حَصَّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة، وهو بيت ريب، وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه، ثم بنى بيت ريبة، ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين، وبنى فى بيت ريب قصراً وسماه دار التحية، فعند ذلك أحل ما حرم الله، وكان يجمع أصحابه فى ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش، وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث إليهم بالعساكر، فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا فى طاعته كارهين ذلك، واستولى على جميع مخاليف المغرب قهراً، واستعمل عليهم رجلاً من أهل مذهبه يقال له: "أبو الملاحف" فأقام بناحية جبل تيس والياً للمنصور، وخرج بنفسه وعساكره إلى بلاد شاور، فاستفتحها وحاصر صاحبها أبا إسماعيل الشاورى سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع إلى مسور، ثم خرج إلى ناحية شبام حمير[1] فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره إلى ناحية المصانع من بلد حمير، فأقام هناك فى مراكز لحمير، فتحموا عليه وقتلوه جماعة من عسكره فانهزموا إلى مسور، فغفل عنهم أياماً يسيرة، وعامل رجلاً يقال له: "الحسين بن جراح" وكان فى الضلع ضلع شبام والياً على أن يعضده على شبام ويكون أمرها إليه فعاقده على ذلك، وخرج بنفسه وعساكره وقام معه الحسين بن جراح ففتح شبام الأهجر، فأخرج منها بنى حوال وحمل إلى مسور جميع ما غنمه من ممالك بنى حوال وأموالهم، وأقام

---

(١) شبام حمير: مدينة بأسفل جبل كوكبان، وهى غير شبام حضرموت.

هناك شهراً، وندم ابن جراح على ما كان منه من معاملته، وخاف على نفسه وحالف رجلاً يقال له: "ابن كبالة" من قواد بنى حوال، كان والياً على صنعاء، فجاش ابن كبالة بقبائل حمير وهمدان، وخالف ابن جراح القرمطى فصار فى وجهه وبن كبالة يقابله على درب شبام، فضاق حال الملعون القرمطى وخرج منهزماً بالليل هو وأصحابه إلى مسور، فذكروا أنه ما خرج إلا بنفسه وترك خيله وأقام فى شبام حتى رجع لهما القرمطى ثانية، وذلك عند دخول على بن فضل صنعاء، وأنا أذكر ما كان منهما - لعنهما الله.

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلى بن فضل إلى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد، ووجه إليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن، وكان ذلك فى سنة تسعين ومائتين، فلما وصلت هديته إلى القداح وولده سرهما ذلك وقال لولده: هذه دولتك قد أقبلت.

ثم إن المنصور أقام فى مسور إلى أن جرى بينه وبين على ابن فضل الجدنى اختلاف ومحاربة، وأنا أشرح ذلك فى موضعه - إن شاء الله تعالى.

وكان موت المنصور - لعنه الله - سنة اثنتين وثلاثمائة، ووَلِىَ الأمرَ من بعده عبد الله بن عباس الشاورى.

باب ذكر على بن فضل بن أحمد الجدنى - لعنه الله -

كان من خبره أنه لما افترق هو والمنصور بغلافقة خرج إلى اليمن أيضاً وفيها جعفر بن إبراهيم المناخى، وخرج إلى جعفر من أبين[1] وفيها رجل من الأصابح يقال له: "محمد بن أبى العلاء" فخرج القرمطى إلى جيشان، ثم خرج إلى سروبافع[2] فتفرسهم، فعلم أنهم أسرع الناس إلى إجابته، فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجداً وأخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائماً وليله قائماً فأنسوا إليه وأحبوه وافتتنوا به، ثم إنهم قلدوه أمرهم، وجعلوا حكمهم إليه، فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم، فقال: لا أفعل هذا، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال إلا أن يعطونى العهود والمواثيق أن لا يشربوا الخمر، ففعلوا له ذلك وأنهم ينكرون المنكر، وينكرون على أهل المعاصى بأجمعهم، فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ إلى إرادته، وأمرهم ببناء حصن فى ناحية سروبافع فأطاعوه وسمعوا الأمر.

ثم إنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبى العلاء، وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصى حتى يدخلوا فى دين الله طوعاً وكرهاً، وأمرهم أن يتخطفوا بلاد ابن أبى العلاء، فاشتد بأسهم، وكانوا لا يلقون جمعاً إلا هزموا وظفروا عليهم، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه -- لعنه الله - فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن إبراهيم كاتبه وفرح به وذلك لشحناء كانت بينه وبين ابن أبى العلاء لقرب القرمطى إليه

---

(١) أى: من أبين عدن.

(٢) يافع: ناحية باليمن أرضها جبلية منيعة.

فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب بن أبى العلاء، ووجه من عنده عسكراً إلى القرمطى، وتعاقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبى العلاء بينهما نصفين، فخرج القرمطى لحرب ابن أبى العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر، فهزمهم بن أبى العلاء وقتل منهم قتلاً كثيراً، وانهزم القرمطى إلى "سبأ صهيب" فلما كان الليل جمع أصحابه وقال: إنى أرى رأياً صائباً: إن القوم قد أمنوا منا، وقد علمتم ما فعلوا بنا، وأرى أن نهجم عليهم فإنا نظفر بهم، فأجابوه إلى ذلك، وهجم عليهم إلى حنفر فقتل ابن أبى العلاء وعسكره، واستباح ما كان له وأخذ من خزائنه تسعين ملحماً فى كل واحد عشرة آلاف، فلما رجع إلى بلاد يافع عظم شأنه وشاع ذكره وأجابه قبائل مذحج بأسرها وزبيد وما لا يحصى عدده فلما بلغ ذلك جعفراً اغتم غماً شديداً وسفر إليه ينظر ما عنده، فسأله أن يقسم ما أخذ من حنفر، فجمع القرمطى القبائل والعساكر ولقى السفير فى أعظم زى من العدة والعدد، فلما عرفه السفير بما جاء به جمع العساكر وقال: إن جعفراً أرسل إلىّ لما بينى وبينه من العهد بقسمه ما غنمت وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه لأنى لا رغبة لى فى المال، إنما قمت لنصرة الإسلام، فشكروه على ذلك ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم إلى السفير، وقال: نصرف إلى صاحبك لیلتك، وقل له يستعد لحربى، وكتب معه كتاباً إليه يذكر فيه: إنه بلغنى ما أنت عليه من ظلم المسلمين وأخذ أموال الناس، وأنا قمت لأميت الظالم، وأرد الحق إلى أهله، فإن أردت تمام ما بينى وبينك فرد الظلامات إلى أهلها، وادفع لأهل "دلال دبة" ما قطعت من أيديهم، وذلك أن جعفراً قطع أيدى ثلاثمائة

رجل من أهل دلال دبة على حجر بالمذيخرة[١] يقال: إن أثر الدم على الحجر إلى اليوم، فلما بلغه كتابه أنه منابذ الحرب فقطع مكاتبته.

فلما كان العام المقبل خرج القرمطى بالجمع الكثير، فدخل المعافر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التعكر[٢]، وخرج فى لقائه أكثر من ألف فارس، فانهزم القرمطى مولياً إلى بلاد يافع، فجمع جموعاً كثيرة ورجع فهزم جموع جعفر إلى المذيخرة، فتبعه القرمطى فدخل المذيخرة وانهزم جعفر إلى تهامة، فأقام القرمطى فى مذيخرة فاستنجد جعفر بصاحب تهامة فأنجده بعسكر عظيم، فطلع حتى صار فى موضع يقال له "الراهدة" بناحية عبهة فلما سمع به القرمطى خرج إليه فى جنح الليل فظفر به وقتل جعفراً فى الحوالة بنخلة.

قال محمد بن مالك الحمادى – رحمه الله تعالى –: وكان هذا جعفر بن إبراهيم ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء، وإنه قال فى شعر له طويل قدر مائتى بيت فى حرب كانت بينه وبين أبى جعفر الحوالى، وظفر جعفر على الحوالى فى شىء من شعره:

إذا ما تجعظروا بطشنا بقدرة ونفعل ما شئنا وما نتجعظر

فما قبلنا قبل ولا بعد بعدنا لمفتخر فخراً إذا عد مفخر

سوى الطيبين الطاهرين الذين هم من الرجس والعاهات والسوء طهر

سلالة إسماعيل ذى الوعد والوفا ودعوة إبراهيم والبيت يعمر

---

(١) المذيخرة: ناحية فى قضاء العدين.

(٢) التعكر: حصون اليمن بجوار مدينة الجند.

محمــد الهــادى النبــى وصــنوه علىّ وسبطاه شــبير[١] وشــبر
ونسلهم الهادين بــالحق والتقــى بطاعتهم رب الســموات يــأمر
ومولاتى الزهراء التى عدل مــريم وصهر رسول الله مولاى حيدر
رويــدك عنــى بالملامــة إننــى بها وبهم أزهو وأعلو وأفخــر
ألا كل مجد ما خــلا مجــد أحمــد وعترته من دون مجدى يقصــر
وكل امرئ وَالَى سوى آل أحمــد فذاك الذى الدنيا مع الدين يخسر
بهم زادنى الرحمن عزاً ومفخــراً فأحمده حمــداً كثيــراً وأشــكر
أنا ابن أبى إسحاق منصور حمير وفارسها والشعشعان المظفــر
فلولاى لم يخلــق ســرير ممهــد ولولاى لم ينصب على الأرض منبر
أنا قمر الــدنيا وعمــى ســراجها وجدى الذى كانت به الأرض تعمر
هم أنزلونى منزل العــز حيــث لا يرانى إلا دونى الطرف يحســر
أصول ولا يعدى علــى وأعتــدى وأخمد نيران الحروب وأســعر
وطعمــى للأعــداء مــر وعلقــم وطعمى لأهل السلم شرب معنبر
ألم تــر أن البغــى مهلــك أهلــه وأن الذى يبغى عليه سينصــر

رجع الحديث إلى على بن فضل القرمطى لعنه الله أنه لمــا قتــل جعفراً أظهر كفره وادعى النبوة وأحل البنات والأخوات، وفى ذلك يقول شاعرهم على منبر الجامع فى الجند:

(١) هما اسمان لابنى هارون عليه السلام، ويقال: إن النبى ﷺ سمى بهما سبطيه. ز.

خذى الدف يا هذه والعبى[١] وغنى هزاريك ثم أطربى
تولى نبى بنى هاشم وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضى شرعة وهذى شرائع هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى وإن صوموا فكلى واشربى
ولا تطلبى السعى عند الصفا ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعرسين من أقربى ومن أجنبى
فكيف تحلى لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه وسقاه فى الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء حلالاً فقدست من ذهب

والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها.

ثم خرج يريد الحوالى وخرج قبل ذلك إلى بلاد يحصب[٢]، فدخل منكث[٣] فأحرقها، ثم خرج يريد الحوالى صاحب صنعاء، فلما بلغ بلد عنس وكان للحوالى مأمور فى هران[٤] فأرسل إليه القرمطى يدخل فيما هم عليه، فأجابه إلى ذلك، فنزل إليه ودخل فى ملته وقرمطته، وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم إلى صنعاء إلى الحوالى مائة وخمسون

---

(١) وفى نسخة اليافعى: واضربى. ز.

(٢) يحصب: مخلاف كبير من مخاليف اليمن يضم كثيراً من القبائل اليمنية ومنه: بلاد تريم وعنس وصنعاء وهمدان.

(٣) بليدة فى بلاد عنس.

(٤) حصن من حصون ذمار فى اليمن.

وخرج القرمطى يريد صنعاء، فلما سمع به الحوالى وبالجموع التى معه وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هارباً إلى الجوف، فدخل القرمطى صنعاء فأقام فيها وأظهر فيها الفحشاء، وأمر الناس بحلق رءوسهم، ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور إلى شبام فأقام هنالك أياماً، وعلى بن فضل يكبر المنصور ويقول: إنما أنا سيف من أسيافك، والمنصور يهابه ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته وإقدامه، فعزم على الخروج إلى مخاليف البياض، فنهاه المنصور وقال: قد ملكنا اليمن بأسره ولم يبق إلا الأقل، فعليك بالتأنى والوقوف فى صنعاء سنة وأنا فى شبام، فيصلح كل واحد منا ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر، فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ما ملكناه، فلم يقبل منه وقال: لابد من الخروج. واستفتح تهامة، فخرج إلى مخاليف البياض وهى بلاد وعرة، فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفاً أحاطوا به، وقطعوا عليه الطرق، ولم يقدر على التخلص، فلما سمع المنصور خاف عليه وأغار إليه واستنقذه، فرجع إلى شبام وعاد إلى صنعاء وخرج إلى جبال حضور ثم إلى حراز ثم إلى ملحان ونزل المهجم وقتل صاحبها وهو إبراهيم بن على رجل من عك[1].

واستفتح الكدرى[2] ورجع إلى ملحان[3] وسرى بالليل إلى زبيد وفيها المظفر بن جاج ومعه ستمائة فارس، وهجم عليهم فى أربعين ألفاً

---

(١) عك: قبيلة فى تهامة اليمن.

(٢) الكدرى: مدينة قديمة فى تهامة اليمن وقد اندرست.

(٣) ملحان: جبل من جبال السراة فى اليمن.

فأحاط بعسكره، فقتل المظفر بن حاج، وكان المنصور مأموراً لصاحب بغداد.

وسبى القرمطى من زبيد أربعة آلاف عذراء، ثم خرج منها إلى الملاحيط، وأمر صائحه وعسكره: يا جند الله يا جند الله، فلما اجتمعوا إليه قال: قد علمتم أنّا مجاهدون وقد أخذتم من نساء الحصيب ما قد علمتم، وأن نساء الحصيب تفتن الرجال فيشغلنكم عن الجهاد، فليذبح كل رجل منكم ما فى يده، فسميت الملاحيط المشاحيط لذلك، ثم رجع إلى مذيخرة دار مملكته وأمر بقطع الحج وقال: حجوا إلى الجرف واعتمروا إلى الثانى "موضعان معروفان هنالك".

فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الأضداد مثل المناخى وجعفر بن الكرندى والرؤساء وطرد بنى زياد - وكانوا رؤساء مخلاف جعفر - ولم يبق له ضد يناوئه عطل المنصور وخلع عبيد بن ميمون الذى كان يدعو إليه، فكتب إليه المنصور يعاتبه ويذكر ما كان من إحسان القداح وقيامه بأمرهما وما أخذ عليهما من العهد لابنه فلم يلتفت إلى قوله وكتب إليه: (إنما هذه الدنيا شاة ومَنْ ظَفِرَ بها افْتَرَسَهَا، ولى بأبى سعيد الجنابى أسوة لأنه خلع ميموناً وابنه ودعا إلى نفسه وأنا أدعو إلى نفسى فإما نزلت على حكمى ودخلت فى طاعتى وإلا خرجت) وقد كان[1] سعيد الجنابى دخل مكة فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفاً وقطع الركن يوم النحر، وهو القائل - لعنه الله:

---

(١) هكذا فى الأصل، والصحيح: وقد كان أبو طاهر أخو سعيد. ز.

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تبق شرقاً ولا غربا
وأنا تركنا بين زمزم والصفا كتائب لا تبغى سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله فلم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا

فى شعر طويل(١) وقد كان الخليفة ببغداد كتب إليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل، فأجابه أبو سعيد(٢) القرمطى:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين من أبى الحسن(٣) الجنابى الداعى إلى تقوى الله القائم بأمر الله، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ إلى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس.

أما بعد - عرفك الله مراشد الأمور وجنبك التمسك بحبل الغرور - فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك وذكرك ما وضعته من نظم كلامك، ونمت به من فخامة إعظامك، من التعلق بالأباطيل، والإصغاء إلى فحش الأقاويل، من الذين يصدون عن السبيل، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك، ونفاذ منتهى طلبتك، وتمكن أولياء الله من رقبتك وهجومهم على معاقل أوطانك صغراً، وسبيهم حرمك قسراً، وقتل جموعك صبراً، **﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**

---

(١) ومن قوله: أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

(٢) هكذا فى الأصل، وقد سبق أنه قتل سنة ٣٠١ فالصواب: فأجابه أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد. ز.

(٣) هكذا فى الأصل، والصحيح: من أبى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى. ز.

[المجادلة:٢٢] وجند الله هم الغالبون. هذا وقد خرج عليك الإمام المنتظر كالأسد الغضنفر فى سرابيل الظفر، متقلداً سيف الغضب، مستغنياً عن نصر العرب، لا يأخذه فى الله لومة لائم **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء﴾** [الجمعة:٤] والله واسع عليم قد اكتنفه العز من حواليه، وسارت الهيبة بين يديه، وضربت الدولة عليه سرادقها، وألقت عليه قناع بوائقها وانقشعت طخاء الظلمة ودجنة الضلالة وغاضت بحار الجهالة **﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾** [الأنفال:٨].

تالله غرتك نفسك، وأطمعتك فيما لست نائله، وسولت لك ما لست واصله، فكتبت لى بما أجمعت عليه أذهان كتابك، ذكرتنى بالعيوب الشنيعة، وقذفتنى بالمثالب السمجة، تالله **﴿لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [النحل:٩٣] فأما ما ذكرت من قتل[1] الحجيج، وإخراب الأمصار وإحراق المساجد، فوالله ما فعلت ذلك إلا بعد وضوح الحجة كإيضاح الشمس، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار، ومعاينتى منهم أخلاق الفجار فحكمت عليهم بحكم الله **﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** [المائدة:٤٤] خبرنى أيها المحتج لهم والمناظر عنهم فى أى آية من كتاب الله أو أى خبر عن رسول الله ﷺ إباحة شرب الخمور وضرب الطنبور وعزف القيان ومعانقة الغلمان وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام، واحتووها من وجوه الحرام.

---

(١) فى الأصل (قبل) والمناسب للسياق ما أثبته. اهـ. مصححه.

وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار، فأى مساجد أحق بالخراب من مساجد إذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ بأسانيد عن مشايخ فجرة بما أجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة.

وأما تخويفك لى بالله، وأمرك بمراقبته، فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك، أترى أنى أجهل بالله منك، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ومنعها عن مستحقيها، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩] وأما ما ذكرت أنى تسميت بسمة عدوان، فليس أعظم من تسميك بالمقتدر بالله أمير المؤمنين، أى جيش صدمك، فاقتدرت عليه؟ أم أى عدو ساقك فابتدرت إليه؟ لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين، وإنك لتقلد بعض خدمتك شيئاً من أمرك، فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى فأى الأمرين أقرب للتقوى، أوَ مَا علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته وعصابة من بنى عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم؟

وبعد فمالك وللوعيد والإبراق والتهديد، اعزم على ما أنت عليه عازم، وأقدم على ما أنت عليه قادم، والله من ورائى ظهير، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته.

قال محمد بن مالك الحمادى - رحمه الله تعالى: يرجع الحديث إلى قصة صاحب مسور، وعلى بن فضل - لعنهما الله تعالى: وذلك أن صاحب مسور لما علم أن على بن فضل غير تاركه لما ذكر فى كتابه

عمد إلى جبل مسور فحصنه وأعد فيه جميع ما يحتاج إليه للحصار وقال لأصحابه: إنى لأخاف هذا الطاغية، ولقد تبين لى فى وجهه الشر حين واجهته فى شبام، فلم يلبث على بن فضل أن خرج لحرب المنصور واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب، فدخل قرية شبام وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل إلى موضع يقال له "المصانع" من بلد حمير، فضبطوا ذلك الجبل، فزحف إليهم فاقتتلوا من أول النهار إلى الليل، فخرج على بن فضل على طريق العضد، ودخل لاعة مصعداً إلى جبل الجميمة مقاتلاً للمنصور، فضرب فيها مضاربه ورجع إلى أصحاب حضور المصانع[1] فلزموا بيت ريبته وضبطوا الجبل فأقسم أن لا يبرح حتى يستنزل المنصور، فحاصره ثمانية أشهر، وقيل: إن المنصور حمل من سوق طمام خمسمائة حمل ملح قبل وصول على بن فضل، وعق له فى الجبل عقاً واسعاً فى موضع كثير التراب، وأوقدوا فوقه الحطب أياما حتى استملح الجبل فصار ملحاً كله ثم نقله إلى الخزائن.

ثم إن على بن فضل مل المقام، فلما علم منه المنصور ذلك دس عليه ذى أمر الصلح، فقال له: لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدى لمحاصرته إلا أن يرسل إلىّ بعض ولده فيكون ذلك لى مخرجا عند الناس ويعلمون أنه قد دخل فى طاعتى، فأرسل ولده ودفعه بالتى هى أحسن، فرجع إلى مذيخرة فأقام عنده ولد المنصور سنة، ثم رده إلى أبيه

---

(١) حضور المصانع: جبل عظيم باليمن، وهو غير جبل شعيب.

وبره وطوقه بطوق من ذهب، ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ويرتكب الفواحش، وأمر الناس باستحلال البنات والأخوات، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ويأمر بإطفاء السرج، وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه، وروى أن عجزواً محدودبة الظهر وقعت مع رجل منهم، فلما تبين بها خلاها، فتعلقت بثيابه وقالت: دويد من ذى حكم الأمير[١] فجرت مثلاً.

ويقال: إن أيامه – لعنه الله – كانت سبع عشرة سنة، ومات مسموماً سنة ثلاث وثملاثمائة، وكان سبب موته – لعنه الله – أن رجلاً من أهل بغداد يقال: إنه شريف وصل إلى الأمير سعد بن[٢] أبى يعفر الحوالى، وكان فى ذلك الوقت هارباً من القرمطى فى الجوف من بلد همدان مستجيراً ببني الدعام، وإن ذلك البغدادى وهب نفسه لله والإسلام وقال للأمير: تعاهدنى وأعاهدك أنى إذا قتلت هذا القرمطى كنت معك شريكاً فيما يصل إليك، فعاهده على ذلك، وكان طبيباً حاذقاً، فخرج إلى مذيخرة فكان مع كبار أهل دولة القرمطى يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات حتى وصفوه للقرمطى بالحذق بالطب وفتح العروق، وقالوا: إن مثلك لا يستغنى أن يكون فى حضرته مثله، ثم إنه

---

(١) وفى نسخة البهاء الجندى مؤرخ اليمن: (دويد من ذى حكم به الأمير)، ثم قال: "دو" بمعنى "لا" فى بعض لغات اليمن، و"ذى" بمعنى الذى، وقال البهاء الجندى: سألت جمعاً منهم عن جمع النساء مع الرجال هكذا فأنكروه. اهـ. لكن غريب منه أن ينتظر منهم الاعتراف بمثل هذه الشناعة البالغة وهى معروفة فى فروعهم إلى اليوم. ز.

(٢) هكذا فى الأصل، والصواب حذف "أبى" قال الجندى: قال الطبيب لأسعد الأمير: (إن أنا عدت تقاسمنى ما يصير إليك من الملك)، لكن قتل ولم يعد. ز.

احتاج إلى إخراج الدم، فأمره أن يفصده، فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه، فدخل على القرمطى فسلم عليه، فأمره أن ينزع ثيابه ويلبس غيرها، ثم أخرج المبضع ثم مصه، وعلى بن فضل ينظر إليه، ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته، ثم فصده، وخرج من ساعته فركب دابته وخرج هاربا، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب فلم يوجد فلحقوا به دون نقيل[1] صيد بإزاء قينان[2] فقتلوه هنالك - رحمه الله تعالى - ومات القرمطى - لا رحمه الله.

وولى الأمر من بعده ولده الفأفاء، وشاع موته فى الناس، ووصل إلى الحوالى جماعة من رؤساء الناس: بنو المحابى والأنبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل الدعكر[3]، ثم تقدم إلى جبل التومار فحاصر القرامطة، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة، لا يخرج لهم جمع إلا هزموا أو قتلوا، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات:١٧٢-١٧٣] فأقام يحاصر القرامطة سنة، ويقال إن من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلى وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه وقتل القرامطة وأحيا الإسلام.

---

(١) النقيل فى لغة اليمن: العقبة، وهى الأكمة المرتفعة.

(٢) بوادى السحول المعروف بقينان، وقد زاره الجندى سنة ٦٩٦. ز.

(٣) وفى بعض الكتب "التعكر". ز.

ليس كولاة الأمر من أهل زماننا الذين غرقوا فى اللذات واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا فى المكارم والنجدات، وُعِظُوا فلم يتعظوا، وناموا فلم يستيقظوا، ونظروا بغيرهم فلم يعتبروا، وقد قيل فى "المثل السائر":

وإذا رأيت أخوك يحلق رأسه أوشكت بعد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته، وجار عليها فى حكمه وقضيته دل على زوال مملكته وتعجيل منيته، وقد قال الأول:

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

وإذا فرط الراعى فى أمر رعيته وطاوع نفسه الدنية، وذهب عنه الأنفة والحمية فقد عظمت عليه البلية، وقال الأفوه الأودى:

لا يصلح القوم فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تهدى الأمور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولت فبالأشرار ينقادوا

رجع الحديث إلى محاصرة الأمير الحوالى، فروى أنه نصب المنجنيقات فهدم المذيخرة بعد سنة، ودخل على القرامطة فقتلهم وأخذ من الغنائم ما لا يحصى، وسبى بنات القرمطى وكن ثلاثاً، فصار اثنتين فى رعين، وواحدة وهبها الأمير لابن أخيه قحطان، وأباد الله القرامطة على يد الأمير الحوالى بمنه وسعادته، وجعل لا يسمع بأحد منهم إلا قتله، ورجع إلى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك وملك جميع البلاد وزالت الفتنة وأراح الله من القرامطة وطهر منهم البلاد وآمن منهم العباد، وسار الأمير فى الناس بأحسن سيرة وعدل فى الرعية، ورد بنى المحابى إلى مخلاف جعفر، وجرت المكاتبة بين الأمير الحوالى والأمير إبراهيم ابن

زياد[١] والناصر أحمد بن يحيى الإمام الهادى صاحب صعدة[٢]، وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيثما وجدوا، وذكروا أنه كان يوجد عنوان: كنتم بركة فى بركة ونعمة مشتركة، والأرض فيما بيننا قد حصلت فى شبكة. وكان الخارج إذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه وسأل الصفح عنه، وصفت لهم المعيشة، واستقامت لهم الدولة، ولزم كل واحد منهم بلده، ولم يطمع واحد على صاحبه، وألف الله بين قلوب المسلمين، ولم يبق من القرامطة إلا شرذمة قليلة من أولاد المنصور فى ناحية مسور، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن إبراهيم والناصر بن يحيى، وأنا أذكر ذلك فى موضعه - إن شاء الله تعالى.

باب ذكر أولاد المنصور

مات - لعنه الله - سنة اثنتين وثلاثمائة، واستخلف على أهل دعوته رجلاً يقال له: عبد الله بن عباس الشاورى وإلى ولده أبى الحسن المنصور، وقال: قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بنى عبيد بن ميمون، فنحن غرس من غرسهم، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه، ولا تم لنا فى الرياسة حال فعليكما بمكاتبة القائم منهم، فأوصيكما بطاعة المهدى - يعنى عبيد بن ميمون - حتى يرد أمره بولاية أحدكما، ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه.

---

(١) أحد ملوك بنى زياد فى زبيد.

(٢) أحد أئمة الزيدية فى اليمن، وهو الذى خرج من المدينة المنورة إلى اليمن وسيرته معروفة.

وقد كان لعبد الله بن عباس عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة لأن المنصور قد كان – لعنه الله – بعثه مع أبى غبد الله الشيعى الخارج بكتامة من بلاد الغرب[1] ما أذكره فيما بعد.

ثم إن عبد الله بن عباس كتب إلى عبيد الله بن ميمون المسمى بالمهدى بموت المنصور وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية بالغرب، وأنه أقام بمذهبه من بعد المنصور ودعا إليه، وأنه لم يبق إلا استيراد الأمر، ويسأله الولاية وعزل أولاد المنصور، وخرج ولد المنصور بنفسه إلى القيروان يسأل الولاية لنفسه ولا ينزع الأمر منهم بعد أبيهم، وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه، وولاه الأمر وكتب له، فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس، وبعث لابن عباس بسبع رايات، فرجع ولد المنصور إلى مسور، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته فبجله وعظمه ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطى – لعنه الله – فسألوه: بم ورد الأمر؟ فعرفهم بصرف الأمر عنهم إلى عبد الله بن عباس دونهم فتبين لجعفر فى وجه أخيه أبى الحسن الشر والعداوة لابن عباس والحسد، فنهاه عن ذلك وقبح عليه وزجره، وقال له: أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لا يقدم علينا سوانا فى هذا الأمر، قال: والله لا تركته يتنعم فى ملك عنى به غيره، ونحن أحق به منه، فقال له أخوه جعفر: إن أمرنا إذاً يتلاشى ويزول ملكنا، وتفترق هذه الدعوة، ويذهب الناموس الذى نمسناه

---

(١) بأفريقية. ز.

على الناس، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك، فلم يلتفت إلى قوله وكتم السر فى نفسه، وكان أولاد المنصور لا يحجبون عن أبى ليلاً ولا نهاراً فوثب عليه أبو الحسن بن المنصور فقتله غدراً وولى الأمر من بعده فولى ما كان أبوه يلى ورجع إلى مذهب الإسلام وجمع العشائر من بلده وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه، فأحبه الناس، فدخل عليه جعفر فقبح ما فعله وقال: قطعت يدك بيدك، فلم يلتفت إلى قوله، وخرج جعفر إلى ولد عبيد المسمى بالقائم فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه:

فكنتم وأنتم تهدمون وأبتنى فشتان من يبنى وآخر يهدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم، فأباد القرامطة وبقى منهم قوم يتكتمون منه، وأقاموا ناموسهم برجل منهم، وكان لا يقطع مكاتبة بنى عبيد ثم إن أبا الحسن خرج من مسور إلى عبر محرم وفيه يومئذ رجل من بنى العرجى، واستخلف أبو الحسن عَلَى مسور رجلاً يقال له: "إبراهيم بن عبد الحميد السباعى" وهو جد المنتاب، فوثب ابن العرجى على أبى الحسن فقتله، فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم بن عبد الحميد السباعى لزم مسوراً وادعى الأمر لنفسه وخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور إلى جبل ذى أعسب فوثب عليهم المسلمون من أهل المغرب فقتلوهم[1] الصغير منهم والكبير وسبوا حريمهم ولم يبقوا على

---

(١) مغرب، اليمن.

وجه الأرض من الكافرين دياراً، ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه.

ثم إن إبراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجى واقتسما المغرب بينهما نصفين لكل واحد منهما ما يليه، ورجع إبراهيم عن مذهب القرامطة وكان أبوه من كبار قواد المنصور وأصله من قدم من حمير، وكان أبوه قتل فى مخلاف البياض لأن المنصور كان أخرجه إلى هنالك بالعساكر، ثم إن إبراهيم بنى فى بيت ريب مسجداً ونصب منبراً وخطب لأمير المؤمنين من بنى العباس وكاتب الأمير أبا الحسن بن إبراهيم بن زياد، وبذل له من نفسه السمع والطاعة والدخول فى الخدمة وسأله أن يبعث إليه محاضر من قبله يكون عنده، فأرسل رجلاً يقال له: "السراج" وقال له: إذا تمكنت قبضت على إبراهيم بن عبد الحميد، فوصل من زبيد ولقيه إبراهيم بن عبد الحميد إلى بيت ريب وطلع إبراهيم بن عبد الحميد إلى حصن فى رأس الجبل، وكان ينزل إليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه، ثم إن السراج عامل على إبراهيم ناساً من أهل الجبل، فنزل إليه يصحبه، فلقيه رجل من المعاملين فأخبره بالمعاملة فرجع حصنه فضرب الطبول فاجتمع إليه الناس ومن كان فيه من أهل دولته، فدخل على السراج فقبض عليه، فأمر بحلق لحيته ونفاه عن بلده وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد، واستمر أمره وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبى ذراريهم، فبقى منهم قليل فى ناحية جبل مسور، فأقاموا قرمطياً منهم يقال له: "ابن الطفيل"، فسمع به إبراهيم بن عبد الحميد، فخرج إليه فقتله، وتفرق من بقى من أصحابه إلى نواحى عمان وقطاية وانكتم

أمرهم عن إبراهيم، ثم إنهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له: "ابن رحـــيم" وذلك فى أيام المنتاب بعد موت أبيه إبراهيم، وكان ابن رحـــيم هـــذا لا يستقر فى موضع واحد خوفاً من المنتاب ومن المسلمين وهو يكاتب بنى عبيد وذلك بعد خروج المعز من القيروان إلى بلاد مصـــر عنـــد بنائـــه القاهرة المنسوبة إليه، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومـــن بعده، وينهى أخبار أهل اليمن حتى مات - لا رحمـــه الله - واســـتخلف على من بقى من القرامطة - لعنهم الله - رجلاً يقال له: "يوســـف بـــن الأمشح" من أهل شبام حمير، فأقام - لعنه الله - يدعو إلى الحاكم ويبايع له على وجه السر حتى مات - لعنه الله - واستخلف على مذهبه رجـــلاً يقال له: "سليمان[١] بن عبد الله الزواحى" من حمير من ضلع شبام مـــن موضع يقال له: "الحفن" فأقام يدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر، وكـــان الملعون كثير المال عظيم الجاه فاستمال الرعاع والطغـــاة إلـــى مذهبـــه وكان فى أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بنـــى عبيـــد بـــن ميمون الملعون، وقد كان عرف بذلك ونسب إليه، فكلما هم به المسلمون من حمير وشبام وما حوله من القبائل دفعهم بالجميل وقال لهم: أنا رجل مسلم فكيف يحل لكم قتلِى؟ فينتهون عنه. وكان فيه كرم نفـــس، وكـــان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات - لا رحمه الله.

---

(١) وكان هذا داعياً فقط، وفى تاريخ عمارة بعض توسع فى أبناء هؤلاء. ز.

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين

وكان هذا الصليحى المسمى على بن محمد كثير الخلطة به والمعاشرة، وكان أحظى من عنده وأطوع أهل مذهبه له، وكان لا يأتيه من بلد إلا خروج، وهو سبع من أسباع حراز، وكان الصليحى الملعون شهماً شجاعاً مقداماً، فلما عرفه سليمان بذلك وحضرته الوفاة - لا رحمه الله - أوصاه بأهل مذهبه وأمرهم بالسمع والطاعة وسلم إليه مالاً كثيرا قد كان جمعه من أهل مذهبه، ثم إن الصليحى الملعون أرسل إليه القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة متباينة فوعدهم بالوصول إليه ليوم معلوم، فلما وصلوا إليه طلع بهم مسار(١)، وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين(٢) وأربعمائة، وطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلاً، فلما استقر بالجبل كتب(٣) إلى صاحب مصر وهو معد المستنصر من بنى عبيد، ووجه إليه بهدايا سبعين سيفاً مقابضها عقيق واثنى عشر سكيناً نصبها عقيق، لأن العقيق عندهم قدرا لأنه لا يكون إلا فى اليمن، وخمسة أثواب وشى، وجام عقيق، وفصوص عقيق مع إهليلج كابلى ومسك وعنبر.

---

(١) مسار: حصن عظيم فى حراز باليمن، وموضعه فوق مدينة مناخة.

(٢) ونقل ابن خلكان عن أخبار اليمن لعمارة اليمنى أنه كان ذلك فى سنة ٤٢٩ (١-٣٦٨). ز.

(٣) سنة ثلاث وخمسين يستأذن فى إظهار الدعوة، فأذن له، فطوى البلاد طياً وفتح الحصون والتهايم، ولم تخرج سنة خمس وخمسين إلا وملك اليمن كله سهله ووعره وبره وبحره، وهذا أمر لم يعهد مثله فى جاهلية ولا إسلام كما فى ترجمة الصليحى، هذا فى وفيات الأعيان. وأطال عمارة اليمنى فى بيان أبنائه وأبناء أبنائه بنوع من الميل إليهم. وفى تاريخ الجندى أيضاً بعض بسط فى أبناء الصليحيين - خذلهم الله. ز.

فوجه معد المستنصر إليه برايات وألقاب وعقد له الولاية، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر، وأحمد بن محمد الذى انهدم عليه الدار بعدن، وهو أبو زوجة المكرم المسماة بالسيدة بنت أحمد.

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى قوله؛ فإنه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن إليهم، لقد سمعته مراراً وأسفاراً وهو يقول لأصحابه: قد قرب كشف ما نحن نخفيه وزوال هذه الشريعة المحمدية – والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين –

خلعت العذار ولم أستتر ... وأظهر ما ليس بالمظهر

وبحت بما كنت أسررته ... من الغى والمذهب الأخسر

وتبت إلى الله مستغفراً ... منيبا إنابة مستغفر

وحرمت ما كنت حللته ... لقومك من كل مستنكر

وحذرت من فعلك العالميـ ... ـن وعدت إلى المنهج الأنور

فإن جئت نحوك مستغفراً ... فبالله بالله لا تغفر

أتحسبنى أنثنى صبوة ... إلى رائق اللون والمنظر

وحاشا لمثلى أن ينثنى ... إلى الكفر والمذهب الأغبر

فإن لم يكن غير هجر الملاح ... فلا زال ذاك إلى المحشر

عباد الله: إنى لم أزل أتلطف بخاصته وأهل مذهبه، ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه وضلاله وكفره وبدعته

وأعماله الشنيعة وضلالته الفظيعة التى تنكرها القلـوب وتشـمئز منهـا النفوس.

وذلك أن الصليحى[١] ومن على مذهبه يدعون إلى ناموس خفـى كل جهول غبى بعهود مؤكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ودعى إليه، وأنه لا يكشف لهم سراً ولا يظهر لهم أمراً، ثم يطلعـه على علوم مموهة وروايات مشبهة، يدعوه فى بدء الأمر إلى الله ورسوله كلمة حق يراد بها الباطل ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصـحاب رسول الله ﷺ، فإذا انقاد له وطاوعه أدخله فى طرق المهالـك تـدريجاً ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفاً وتعويجاً، بكتب مصنعة وأقوال مزخرفـة إلى أن يلبس عليه الدين ويخرجه منه كما يخرج الشعرة مـن العجـين وقصارى أمره إبطال الشرائع وتحليل جميع المحارمٍ، فسارع إليه من لم يكن له بالشرع معرفة، لأنه صادق أكثر الناس عواماً، فأجابه إلى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل الإسلام من حسب وسـنجان ويام[٢]، فحرم الحلال وأحل الحرام وناقض بجهده الإسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج إلى بيت الله الحرم، فأهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق.

---

(١) لم يدرك المصنف أواخر عهد الصليحى، وكان قتل "على بن محمد الصـليحى" فـى يـوم السبت ١٢ ذى القعدة سنة ٤٧٣ على التحقيق، ثم قام ابنه أحمد، ثم ابنه "أبو حمير سبأ" ثـم الداعى الزواحى، ثم انتقلت الدعوة إلى آل زريع إلى أن استأصل رجال صلاح الـدين الأيـوبى شأفة المذهب الباطنى من البلاد اليمنية، فعاد إلى الكمون فى القبائل الآتية. ز.

(٢) وقبيلة "يام" إلى اليوم باطنية تنتمى إلى بهرة الهند. ز.

«آخر رسالة محمد بن مالك - رحمه الله رحمة الأبرار، ووقاه عذاب النار»

قال سيدنا عبد الله بن المبارك:

أصل الاثنين والسبعين فرقة هو أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت هذه الاثنان والسبعون فرقة، وهم: **القدرية، والمرجئة والشيعة، والخوارج**، فمن قدم أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً واحدا بعد واحد على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم فى الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره.

ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج.

ومن قال: المقادير كلها من الله خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدى من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة.

ومن قال: الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، فقد خرج من قول المرجئة.

وكان أيوب يقول عند الموت: "**السنة السنة وإياكم والبدع**" حتى مات، قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله: مات رجل من أصحابى فرئى فى المنام فقال: قولا لأبى عبد الله: عليك بالسنة فإنها أول ما سألنى الله عنه سألنى عن السنة، وقال أبو العالية: من مات على السنة مستور فهو صديق، ويقال: الاعتصام بالسنة نجاة، ويقال: الاقتصاد فى

السنة خير من الاجتهاد فى البدعة. ومن السنة ترك المراء والجدال والخصومات فى الدين.

وكان ابن عمر يكره المناظرة ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا. وقول الله تعالى أكبر من قول الخلق إذ يقول عز وجل: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [غافر:٤] وسأل رجل عمر فقال: ما ﴿**وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾ [النازعات:٢]؟ فقال: لو كنت محلوقا[١] لضربت عنقك. وقال النبى ﷺ: «**المؤمن لا يمارى ولا أشفع للممارى يوم القيامة فدعوا المراء**»، ولا يحل لأحد أن يقول: فلان صاحب سنة حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة كلها.

قال بشر ابن الحارث: الإسلام هو السنة والسنة هى الإسلام، وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت رجلا من أهل السنة فكأنما أرى رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا رأيت رجلا من أهل البدع فكأنما أرى رجلا من المنافقين.

وقال يونس بن عبيدة: العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة، وأعجب منه من يدعى فيقبل.

وقال مالك بن أنس: من لزم السنة وسلم منه أصحاب رسول الله ﷺ ثم مات كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وإن كان مقصرا فى العمل.

---

(١) كذا بالأصل.

واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه أراد محمدا وقد آذاه فى قبره ﷺ. وإذا ظهر لك من إنسان شىء من البدع فاحذره فإن الذى أخفى أكثر من الذى أظهر. وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد واشرح لى التوحيد فاعلم أنه خارجى معتزلى، أو يقول: فلان مجبر أو يتكلم بالعدل أو يتكلم بالإجبار فإنه قدرى؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء.

وقال عبد الله بن المبارك: لا تأخذ على أهل الكوفة فى الرفض شيئاً، ولا عن أهل الشام فى السيف، ولا عن أهل البصرة فى القدر، ولا عن أهل خراسان فى الإرجاء، ولا عن أهل مكة فى الصرف ولا عن أهل المدينة فى الغناء. لا تأخذ عنهم فى هذه الأشياء شيئا.

واعلم أن كل علم ادعاه العباد لم يوجد بالكتاب والسنة والأثر وما كان عليه أصحاب محمد ﷺ وهو العتيق[1]. واحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالسه وممن تسمع ومن تصحب، ولا تقبل الحديث إلا ممن تقبل شهادته، وانظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق كتبت عنه وإلا تركته؛ لقوله عليه السلام: «**إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم**».

نسأل الله السلامة من جميع الأهواء والبدع ولزوم السنة والجماعة مع حسن الخاتمة برحمته إنه جواد كريم، والحمد لله كثيرا دائماً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم كثيرا

---

[1] هكذا بالأصل .انتهى. مصححه.

فهرس الكتاب

قام بالتصحيح

مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمى وتحقيق التراث

ت: ٥٤٥٩٧٥٠ - محمول:٠١٠٩١٢١٩٥٠

جمهورية مصر العربية


من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري